

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من
حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية
المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرية
مطلقة ، من أجل حماية التقدم العلمى فى (مصر) ،
ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس
الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل
رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على
رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة
بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ،
ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قائم ، ولمحة من عالم الغد ،
وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١- الواحد للكل ..

انطلقت صفارات الإنذار تشقّ سكون الليل ، فى
المنطقة المحيطة بالمستشفى العسكرى الجديد ،
وتحرك رجال أمنه فى سرعة ، لتطبيق خطة
الطوارئ الاحتياطية ، فتم إغلاق كل مداخل ومخارج
المكان ، وسرى تيار كهربى بقوة عشرة آلاف
فولت (*) ، فى كل الأسوار المحيطة به ، وأضئلت
أنوار كاشفة قوية ، فى الحديقتين ، الأمامية
والخلفية ، وفى الممرين الجانبيين ، اللذين انتشر
فيهما فريق من الرجال المسلحين ، وصدرت
الأوامر ، عبر مكبرات الصوت ، المنتشرة فى المكان
كله ، بإغلاق عابور وحجرات المرضى ، وإخلاء
ممرات المستشفى ، إلا من الحد الأمنى والحتمى من

(*) الفولت : الوحدة العملية للقوة الدافعة الكهربائية وفارق
الجهد ، وهى قوة الدفع الكهربى ، أو فرق الجهد ، التى تنتج
تياراً مقداره أمبير واحد ، حينما تؤثر تأثيراً ثابتاً على موصل
مقاومته الكهربائية أوم واحد .

العاملين ، ومنع أية تحركات غير ضرورية ، مع تشغيل كل آلات المراقبة والفحص ، فى المكان كله .. وفى توتر ملحوظ ، وصلت (مشيرة محفوظ) ، مديرة ورئيس تحرير جريدة (أنباء الفيديو) إلى المكان ، ولم تكذب توقف سيارتها ، على بعد ثلاثة أمتار من المدخل ، طبقاً للوحة الإرشاد ، التى تم زرعها ، فور بدء تطبيق خطة الطوارئ ، حتى فُقرت منها ، وهرعت إلى رئيس طاقم حراسة البوابة الرئيسية ، هاتفه :

- أريد أن أدخل .. زوجى رافد فى غيبوبة عميقة هناك ..

رفع الرجل يده يصدها فى حزم صارم ، وهو يجيب :

- مستحيل يا سيبتى .. الدخول والخروج محظوران تماماً الآن .

صاحت فى غضب :

- كيف تجرؤ على منعى .. إبنى (مشيرة محفوظ) .. رئيسة تحرير (أنباء الفيديو) .. أشهر جريدة مرلية ، فى القرن الحادى والعشرين .

أجابها الرجل فى صرامة :

- هذا سبب أكثر وجاهة ، لمنعك من الدخول ، فى مثل هذه الظروف ، يا سيبتى (مشيرة) .

احتقن وجهها فى غضب ، وهى تهتف :

- هذا دأبكم دائماً أيها العسكريون .. لماذا تصرّون على إحاطة كل شئونكم بالسرية والغموض ؟! لماذا لا تكشفون الحقائق للشعب ؟!

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى الرجل ، وهو يقول :

- سأقتل اقتراحك هذا للقيادة يا سيبتى (مشيرة) .

احتقن وجهها أكثر ، من فرط الغضب ، فاندفعت نحوه فى حدة ، هاتفه :

- إبنى أصرّ على الدخول .

لم يتحرك الرجل من مكانه ، وظلّ واقفاً بقامته المفرودة ، وكفيه المعقودتين خلف ظهره ، فى حين تحرك رجاله فى سرعة ، وارتفعت مدافعهم الليزرية فى وجه (مشيرة) ، التى شهقت فى فزع ، وتراجعت مذعورة ، فابتسم هو فى شماتة ، وقال فى صرامة :

- وأنا أصراً على عدم دخولك يا سيّدة (مشيرة) ،
ولدى أوامر صريحة بإطلاق النار مباشرة ، وبلا
مواربة ، عند أية محاولة لكسر تعليمات الأمن ، مهما
كانت شخصية المقترح أو مكنته ، فأرجوك ألا تجبريني
على تنفيذ الأوامر .

كان الغضب المعربد في أعماقها قوياً عنيفاً ، إلا
أن امتزاجه بخوفها وجزعها على المصير الغامض
لزوجها (أكرم) ، جعلها تقول بلهجة شبه متوسّلة :
- اسمع يا هذا .. ربما كانت أوامرك صارمة
حازمة ، في هذا الشأن ، ولكن زوجي بالدخل ،
يواجه ذلك الخطر ، الذي صدرت بشأنه هذه الأوامر ،
وكل ذرة في كيالي تشعر بالخوف والهلع من أجله ..
أرجوك .. أريد الاطمئنان عليه بأي ثمن .

كان لأسلوبها هذا أثر عجيب على الرجل ، على
نحو أبرز معدنه الأصيل ، ومصريته التلقائية
الموروثة ، عندما تلاشت ابتسامته الساخرة الظافرة
على الفور ، وبدأ عليه ارتباك متعاطف ، وهو يشير
لرجاله بخلط أسلحتهم ، قائلاً :

- صدّقيني يا سيّدتى .. لو أن الأمر بيدي ،
لما تردّدت لحظة واحدة في السماح لك بالدخول ،

والاطمئنان على زوجك ، ولكنني أقسم لك إن الأوامر
لا تقبل المناقشة أو الاستثناء ، في مثل هذه الظروف ،
مهما كانت الأسباب .. صدّقيني .
زفرت في مرارة ، وهي تتمتم :
- إنني أصدّقك .

وتراجعت في أسمى ، عائدة إلى سيارتها ، وعقلها
يتساءل : تُرى لماذا كل هذا ؟
ما الذي يحدث هنا ؟

انطلقت التساؤلات في عقلها ، وهي تحاول الربط
بين الموقف الحالي ، وإصابة (سلوى) في الصباح ..
والواقع ، وعلى الرغم من جهلها التام بالأمر ، أن
ما يحدث أمامها ، في تلك اللحظة ، كان نتيجة
مباشرة لما أثار خوف وقلق وتوتر جهاز المخابرات
العلمية كله ، في ذلك الصباح ..
فلقد بدأ الأمر بكُرة ..

كُرة من النار ، انفتحمت أحداث اليوم بغتة ،
لتطارد (رمزي) في إصرار وشراسة عجيبيين ،
وهي تشتعل بلهب أخضر مخيف ..
وحاول (رمزي) الفرار ..

حاول .. وحاول .. وحاول ..
ولكن الكرة النارية لم تخسر معركتها ..

لقد هاجمت ..

وانقضت ..

وأصابت الهدف ..

بمنتهى العنف ..

وفى غيبوبة غامضة عميقة ، سقط (رمزي) ،
الذى عجز الجميع عن تفسير ما أصابه ، وراحوا
يدرسون حالته بمنتهى الدقة ، وخاصة (نور)
ورفاقه ، الذين تم حل فريقهم بقرار متصّف للقائد
الأعلى الجديد ، للمخابرات العلمية المصرية ، ونائبه
ورئيس مركز الأبحاث التابع له ، الدكتور (جلال) ..
ثم أصيبت (ملوى) بكرة نار ثانية ..
وسقطت بدورها فى غيبوبة عميقة ..

وهنا راح (نور) و (أكرم) و (نشوى)
يقتلون بكل قوتهم ، فى محاولة لكشف لغز وغموض
كرة النار ، التى تحصدتهم واحداً بعد الآخر ..

ويسبب الروح العدوانية ، التى تولجهم بها
الإدارة ، واضطرارهم للعمل ضد القانون ، تصوّر

الثلاثة أن ما يحدث هو محاولة داخلية للقضاء
عليهم ..

حتى تعرّض مركز الأبحاث العلمية لهجوم عنيف ،
من مخلوق عجيب ..

مخلوق فضائى ، يمتلك القدرة على التحوّر
الجينى ، الذى أتاح له اتّحال هيئة أحد علماء
المركز ، بكل تكوينه الظاهرى ، وسماته الجينية ،
ليجتاز كل فحوص واختبارات الأمن ، دون أن ينكشف
أمره ..

عندئذ أدرك الجميع ، وعلى رأسهم القائد الأعلى
والدكتور (جلال) ، أن العالم كله يواجه خطراً
جديداً ..

خطر غزو آخر ، قائم من الفضاء الخارجى ..
غزو قد ترزح الأرض كلها بثقله ، كما حدث من
قبل (*) .

ولأن الأمر لم يعد يحتمل المزيد من الصراعات ..
أو حتى الخلافات ..

كان من المحتم أن تعود الأمور إلى نصابها ..

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

وأن يعود (نور) وفريقه إلى العمل ..

ولكن بعد فوات الأوان ..

لقد سقط (أكرم) أيضاً ، وصار الموقف يسالغ
الخطورة ..

إلى أقصى حد ..

ولم تنته المفاجآت ، أو تتوقف عند هذا الحد ..

لقد ظهرت مركبة فضاء مجهولة ، نسفت بلا
رحمة ، فريقاً من فرق البحث ، التابعة للمخابرات
العلمية ، قبل أن تختفى تماماً ، في صحراء (مصر)
الغربية ..

وفي الوقت ذاته ، قام ذلك المخلوق الفضائي
بهجوم آخر ..

هجوم على المستشفى العسكري ، حيث يرقد
(أكرم) و (رمزي) و (سلوى) ، في غيوبتهم
الغامضة العميقة ..

وحتى عندما حسم (نور) ذلك الهجوم ، وأوقع
بالفضائي ، باغته مفاجأة أكثر عنفاً ..

مفاجأة كشفها الدكتور (حجازي) ، وهو يقوم
بتشريح جثة ذلك المخلوق ..

ذلك الذي لم يكن سوى شخص ألى عجيب ، يجمع
في تكوينه بين الدوائر الإلكترونية ، والخلايا الحية ..
وفي نفس اللحظة ، التي اكتشفت فيها هذه الحقيقة
المخيفة ، ظهرت كرة نار جديدة ..
وانقضت بنفس العنف والإصرار والشراسة ، على
هدفها الجديد ..

على (نور) ..

المقدم (نور الدين محمود) ..

ولقد حاول (نور) أن يتفادى ذلك الهجوم الرهيب ..
حاول بكل قوته ..

ولكن الكرة النارية أطلقت لهيبها ..

وانتصرت مرة أخرى ..

وهكذا سقط الفريق كله ..

فيما عدا (نشوى) ..

وكان عليها أن تتصدى وحدها لذلك اللهب
المخيف ..

لهيب الرعب (*)

★ ★ ★

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول .. (كرة النار) ..
المغامرة رقم (١٢٥) .

لم يكن من الممكن أبدًا أن تتراجع (مشيرة) أو تستسلم ..

لم يكن هذا يناسب طبيعتها أو تكوينها ..
ثم إن زوجها كان خلف تلك الأسوار ، وهي تجهل كل شيء عما أصابه ..

لذا ، فقد اتخذت قرارًا حازمًا ..
صارمًا ..
مجنونًا ..

وبكل هذه المشاعر ، عادت إلى سيارتها ، وجلست خلف عجلة القيادة ، وهي تثقظ نفمًا عميقًا ، ملأت به صدرها ، قبل أن تفهم في حزم :

- فلتعلم يا (أكرم) أنني أفعل هذا من أجلك .

ثم أدارت محرك السيارة ، مستطردة :

- من أجلك وحدك .

قالتها ، وضغطت دواسمة الوقود ، وانطلقت بسيارتها لثلاثة أمتار ، ثم انحرفت بها بفتة ، ووثبت نحو واحدة من سيارات الأمن ..

وانطلقت من حلقها صرخة قوية ، ترددت في المكان كله ، وهي تتخلى عن عجلة القيادة ، وتخفي وجهها بذراعيها ..

وارتطمت سيارتها بسيارة الأمن في عنف ..

وطارت في الهواء ، على نحو مخيف ، و (مشيرة) تواصل إطلاق صرختها ، التي امتزجت برنة رعب قوية ، والسيارة تتجاوز ساحة الانتظار الكبيرة ، ثم تهوى خارجها ، وترتطم بالأرض في عنف ، وتقلب على جانبها ، ثم تزحف في هذا الوضع لثلاثة أمتار أخرى ، قبل أن تتوقف ، وإطاراتها تدور حول نفسها في قوة :

- وهتف مسئول الأمن برجاله :

- أسرعوا لإخراجها ، قبل أن يشتعل خزان الوقود ..

أسرعوا .

لم يقادر مكانه ، طبقًا للأوامر ، ولكنه تابع ببصره ، في قلق بالغ ، فريقًا من رجاله ، أسرعوا نحو السيارة المقلوبة ، وراح بعضهم يخرج (مشيرة) منها ، في حين اتهمك البعض الآخر في إطلاق أسطوانات الإطفاء نحو السيارة ، لمنع وقودها من الاشتعال ..

وفي الوقت ذاته ، وإثر اتصال عاجل من مسئول الأمن ، انطلقت سيارة إسعاف صغيرة ، تعبر حديقة

المستشفى العسكرى ، وتجاوزت البوابية ، ليحمل رجالها (مشيرة) على محفة خاصة ، ولحدهم يهتف :

- لقد فقت وعيها .. أسرعوا إلى حجرة الطوارئ .. ههنا .

وعلى الرغم من اهتمامهم الواضح ، وفحصهم السريع الممتاز لها ، إلا أن أحدا منهم ، على الرغم من خبراتهم الطويلة ، لم يلمح تلك الابتسامة السريعة ، التى جرت على طرف شفتى (مشيرة) للحظة واحدة ، وهم يحملونها إلى داخل المستشفى ..

كانت الآلام تملأ جسدها ، وتمسرى فى كياتها كله ، ولكن كل هذا اختفى تماما ، خلف شعورها بالانتصار ، ولهفتها لإجابة ذلك السؤال ، الذى جعلها تهرع إلى المستشفى العسكرى ، بعد منتصف الليل .. ترى ماذا يحدث ، خلف تلك الأسوار ؟! ماذا ؟!

* * *

من العجيب أنه ، وعلى الرغم من كل ما حدث ، فإن (نشوى) لم تذرف دموعا واحدة ، وهى تقف

عند باب الحجرة ، التى تم نقل والدها إليها ، تراقب الأطباء ، الذين راحوا يبذلون قصارى جهدهم فى بأس : لإنقاذه من تلك الغيبوبة ، التى عجزوا عن إخراج رفاقه منها ..

وفى حنان ، ربّت الدكتور (حجازى) على كتفها ، هامسا :

- اطمئنى يا بنيتى .. كل شيء سيصبح على ما يرام بإذن الله .

أدارت إليه عينين خاويتين ، وتطلعت إليه لحظة ، بدت خلالها كالمغنية عن الوعى ، قبل أن تعيد عينيها إلى والدها ، متممة :

- بإذن الله .

شعر الدكتور (حجازى) بقلبي عارم نحوها ، فربّت على كتفها مرة أخرى ، قائلا :

- أفرغى التفاعلاتك يا ابنتى .. ابكى .. اصرخى .. افغى أى شيء ، ولكن لا تقفى ساكنة هكذا .. أفرغى توتراتك ومشاعرك كلها ، من أجل صالحتك ، وإلا انتهرت أعصابك دفعة واحدة .

عادت تدير عينيها إليه ، وقالت فى صرامة وحزم ، لم يكن يتوقعهما قط :

- لا يمكن أن تنهار أعصابى الآن يا دكتور
(حجازى) .. اطمئن .

استعت عيناه فى شئ من الارتياح ، قبل أن
يقول :

- (نشوى) .. لا تغلى هذا بنفسك يا بنيتى ..
الأطباء سيتولون أمر الجميع ، وهناك علاج لهذه
الحالة حتمًا ، و ...

قاطعت بهمة ، عندما أحاطت أصابعها بمعصمه فى
قوة ، وجذبتة خارج الحجرة فى عنف لم يعتده منها
أبداً ، وما إن أصبحت على مسافة ثلاثة أمتار من
الحجرة ، حتى وجهته فى توتر شديد ، وهى تقول
فى حزم عجيب ، وأسلوب قيادى مدهش :

- اسمع يا دكتور (حجازى) .. أعلم أن الموقف
يبدو غنياً عصياً ، من الناحية التى تنظر منها إليه ،
حتى إنك تخشى أن تنهار أعصابى ، أو أسقط للحاق
بجميع ، ولكن هذا خطأ .. خطأ وألف خطأ .. فالتى
تقف أمامك الآن ليست (نشوى نور الدين) ، ابنة
قائد الفريق ، وزوجة خبيره النفسى ، التى رأت أقرب
الناس إليها يتساقطون وينهارون أمام عينيهما ،

ويرقدون فى أربع حجرات متجاورة ، فى قسم العناية
للخاصة ، الذى يعجز أكبر خبرائه وإخصائييه عن
تفسير أو علاج ما أصابهم .. كلا يا دكتور
(حجازى) .. إنها ليست كذلك أبداً .

ثم شئت قامتها ، مستطردة بلهجة جعلت قلبه
يخفق فى قوة :

- التى تقف أمامك الآن هى (نشوى) .. آخر من
تبقي من فريق (نور) ، بكامل الوعي والإدراك ،
وهذا يعنى أن قيادة الفريق قد انتقلت إلى ، طبقاً
للتدرج القيادى الطبيعى ، ويعنى أيضاً ، وهذا هو
الأهم ، أن مصير الجميع صار معلقاً بعنقى ، ورهن
مسئوليتى .

وللتقطت نفساً عسيقاً ، لتسيطر على الانفعال المتفجر
فى أعماقها ، قبل أن تضيف فى صرامة حازمة :
- هل علمت الآن لماذا لا يوجد وقت للإتهيار
العصبى؟! لأن أى إتهيار يعنى أن يفقد الفريق كله
آخر أمل له فى النجاة ، بعد الله (سبحانه وتعالى) ..
الفريق الذى يضم أبى ، وأمى ، وزوجى ، والفضل
صديق لى ، فى العالم كله .

حنق الدكتور (حجازى) فى وجهها لحظة ،
بدهشة وانفعال بالغين ، قبل أن يقول فى حزم :
- فهمت .

ثم استعرد فى حماس :

- والآن ، ما الخطوة التالية فى رأيك ؟ هل
سنبحث عن العلاج لتلك الغيبوبة الغامضة ؟
أجابته فى حزم :

- أنت قلتها يا دكتور (حجازى) .. الأطباء
سيحاولون هذا الأمر أفضل منا ، لذا فعلينا أن نتولى
الأمر ، التى نجدها أفضل منهم .
سألها فى اهتمام :

- مثل ماذا ؟

ارتطم السؤال بكلماتها ، وفجر حيرتها وتوتراتها
إلى أقصى حد ..

نعم .. مثل ماذا ؟

ما الذى يمكن أن تبدأ به بحثها ، فى مثل هذه
الظروف ؟

كيف يمكن أن تتولى مسئولية رهبة كهذه ؟

كيف ؟

صحيح أنها تبذل قصارى جهدها ، إلى الحد الذى
جعلها تبدو قوية متماسكة ، أمام الدكتور (حجازى) ،
إلا أن واقعها ، الذى تشعر به فى كل خلية من
خلاياها ، كان يختلف تمامًا ..

كانت حائرة إلى حد الضياع ..

وخائفة إلى حد الفرع ..

وأمام سؤال الدكتور (حجازى) ، قفزت كل تلك
المشاعر إلى السطح ، وألصحت عن نفسها فى
ملامحها ، وأطلت فى عناد من عينيها ..
والتقط الدكتور (حجازى) الرسالة ..

واستوعبها بخبراته الطويلة ، وعلمه الغزير ..

ثم أخفاها فى أعماقه ، بحكمته البالغة ، وهو يميل
نحوها كملاً فى بساطة ، وكأنه لم يلق سؤالاً منذ
لحظات :

- أعتقد أن أفضل وسيلة ، لبدء مهمة صعبة
كهذه ، هى أن نتساءل :

- ترى ماذا كان (نور) سيفعل ، فى ظروف
مماثلة ؟

هتفت فى حماس ، متشبثة بعبارته :

- بالضبط .

ثم هرشت رأسها في توتر ، متابعة :

- نعم .. ما الذى سيفعله أبى ، فى موقف كهذا ؟!

اتعقد حاجباها بضع لحظات ، فى تفكير عميق ،
وهى تطرح السؤال ذاته على نفسها ألف مرة ومرة ..

ما الذى يمكن أن يفعله (نور) ، فى موقف بلغ
هذا الحد من التعقيد ؟!

إنه سيلتقط حتماً طرف خيط ..

أى خيط ، يمكن أن يقوده إلى الحقائق والمعلومات

رويدا رويدا ..

السؤال إذن هو : أين طرف الخيط هذه المرة ؟!

أين ؟!

لم تدر ما الذى دار فى ذهنها بالضبط ، خلال تلك
الأجزاء الضئيلة من الثانية ، ولكنها وجدت نفسها
تقول فى حزم :

- دعنا نلقى نظرة على بقايا ذلك الآلى .

ولا أحد يمكنه أن يتصور كم شعرت بالارتياح ،
عندما هتف الدكتور (حجازى) فى حماس شديد :

- بالضبط .. هذه هى الخطوة الصحيحة .

لم تمض دقائق خمس على عبارته ، حتى كان
كلاهما يقف أمام البقايا المحترقة ، التى بلغت حد
الذوبان تقريباً ، لما كان منذ قليل شخصاً آلياً متطوراً ،
لا مثيل له على الأرض كلها ..

وفى توتر ، قالت (نشوى) :

- من الواضح أن الأمر مدروس بعناية فائقة ،
بحيث لا نضع أيدينا على دليل واحد ، يمكن أن يقود
إلى حل غموض الموقف .

هز الدكتور (حجازى) كتفيه ، قائلاً :

- لقد ذاب ذلك الشيء ، حتى صار من المستحيل
الحصول على أى شيء منه ، وبالأذات الوصلات
الخاصة ، بين الأجزاء الآلية والخلايا الحيوية ، التى
تم صنعه منها .

عضت شفتيها فى توتر ، وهى تتطلع إلى بقايا
الآلى ، وعادت تتساعل : أين يمكن أن تجد طرف
خيط آخر إذن ؟!

أين ؟!

كان السؤال يعربد فى أعماقها بقوة ، عندما اخترق
أذنيها صوت صارم حازم ، يقول :

- سيّدة (نشوى) .. هل لى أن أسألك : ماذا
تفعلين هنا ؟!

استدارت مع الدكتور (حجازى) إلى مصدر
الصوت ، فى حركة حادة سريعة ، ووقع بصرهما
على الرائد (أيمن) ، وهو يذلف إلى المشرحة ،
وخلفه أفراد فريقه ، الذين انتشروا فى المكان فى
سرعة عجيبة ، وهو يتقدم نحو (نشوى) ، مستطردًا
بنفس الصرامة الحازمة :

- المفترض أن هذه المنطقة تخضع لسلطة المخابرات
العلمية ، فى الوقت الحالى ، و ...
قاطعته (نشوى) فى غضب :

- هل نسيت أنني أحد أفراد المخابرات العلمية
أيضًا أم ماذا ؟!

رمقها (أيمن) بنظرة صارمة ، قبل أن يجيب ،
وهو يشير إلى أفراد فريقه :

- كلاً .. لم أنس يا سيّدة (نشوى) ، ولكن
الأوامر التى تلقيتها من القائد الأعلى شخصيًا ، منذ
دقائق قليلة ، والخاصة بإحاطة هذه العملية بالسرية
البالغة ، تنتهى بعبارة تقول : « دون أية استثناءات ،
مهما كانت الأسباب » .



حضت شفتيها فى توتر ، وهى تتطلع إلى بقايا الآلى ، وعادت
تسأل : أين يمكن أن تجد طرف خيط آخر ؟!

ثم مال نحوها ، مستطرذا بلهجة تحمل رنة أسف حقيقيّة :

- وأعتقد أن هذا يشملك أيضًا .

احتقن وجهها ، وهى تقول فى حدة :

- ولكن هذه المهمة تخصّ فريقنا أيضًا ، وطبقًا للقواعد ، فالمفترض أن تنتقل إلى القيادة ، بعد أن ..

قاطعها (أيمن) هذه المرة ، قائلًا :

- أى فريق يا سيّدتى ؟!

بهتت لسؤاله ، وللهجة المتعاطفة المشفقة ، التى نطقه بها ، فحدقت فى وجهه ، دون أن تحر جوابًا ، فتابع هو باللهجة نفسها :

- أقل عدد من الأفراد ، يمكن أن يحمل لقب فريق ،

هو اثنين يا سيّدتى ، وحتى هذا القدر لم يتبقّ لديكم ، غاية قيادة تلك التى تتحدثين عنها ؟!

كانت ترغب بشدة ، فى أن تظلّ قوية متماسكة ، فى مواجهة (أيمن) وفريقه ، الذين تحركوا بسرعة ، لنقل بقايا الآلى إلى كيس كبير خاص ، له غلاف مزدوج ، عازل للضوء والحرارة ، وإغلاقه بإحكام شديد ، إلا أن دموعها الغزيرة لم تتجح فى الاختفاء خلف عينيها ، فتسلّلت تسيل على وجنتيها ، وهى تقول :

- حاول أن تستوعب الموقف أيها الرائد .. إنها ليست بالمهمة العادية ، التى يمكنك أن تطالبنى بالتخلّى عنها بهذه البساطة .. والفريق الذى تتحدث عنه ، ليس مجرد مجموعة من زملاء العمل ، شاركتهم بعض المهمات والمغامرات فحسب .. إنهم أهلى .. هل تفهم ؟! كل أهلى ، الذين لا يمكن أن أتخلّى عنهم قط ، لمجرد أن الأوامر تحتم هذا .

زفر (أيمن) فى حرارة ، متممًا :

- أعلم هذا يا سيّدتى .. أقسم لك إننى أعلمه ، وأنفهمه جيدًا ، ولكن طبيعتى العسكرية ترفض عدم إطاعة الأوامر ..

غمغم الدكتور (حجازى) :

- ربما هناك وسيلة ما ، و ...

قاطعه (أيمن) ، وهو يكمل فى صرامة :

- أو التحايل عليها ، والدوران حولها .

ثم دفعها أمامه فى رفق ، لا يخلو من الحزم ، متابعًا :

- معذرة يا سيّدتى .. أنا مضطر .

تفجّرت الدموع من عينيها ، فى قهر عاجز ، عندما أخرجها اثنان من فريق (أيمن) ، مع الدكتور

(حجازى) من القسم كله ، الذى صار يحمل شعار
المخابرات العلمية ..

وفى مرارة ، هتفت :

- مستحيل ! لا يمكن أن أستسلم أبداً .. لا يمكن أن
أتخلى عن الجميع ، لمجرد أن الأوامر تحتم هذا .

غمغم الدكتور (حجازى) فى حزن :

- وماذا بيدنا لنفعله ؟!

هتفت بكل مرارة الدنيا :

- أى شيء .. أى شيء ..

ثم انفجرت باكياً ، وهى تضيف فى ألم ثائر :

- المهم أن نفعل شيئاً .. من أجلهم .

اتخرطت فى بكاء عنيف ، بعد أن فجرت ثورتها ،

وشعر الدكتور (حجازى) بمنتهى الشفقة والتعاطف مع

موقفها ، فربّت عليها فى حنان ، مغمغماً فى عجز مرير :

- رويدك يا بنيتى .. إنسى أشعر بما تشتعل به

أصافك ، ولكننى عاجز على أن أمد يد المساعدة

إليك .. حتى الكلمات لا تسعبنى لـ ...

اعتذلت فجأة ، وتجمدت الدموع فى عينيها ، اللتين

برقنا على نحو عجيب ، جعله بيتر عبارته ، ويتراجع

بحركة حادة ، محدقاً فيها بدهشة بالغة ، وهى تهتف
فى وجهه :

- ماذا قلت يا دكتور (حجازى) ؟!

خُيّل إليه أنه يحدق فى وجه (نور) نفسه ، وهو
بغمغم مرتبكاً :

- كل ما قلته : هو أن الكلمات لا تسعبنى لـ ...

هتفت تقاطعه مرة أخرى ، فى لهفة شديدة :

- بالضبط .. أنت تشعر ، ولكن الكلمات لا تسعفك .

عاد يُحدق فى وجهها بدهشة ، مغمغماً :

- ماذا تعنين ؟!

برقت عيناها أكثر وأكثر ، حتى بدتا شبيهتين

بمعنى (نور) ، وهى تهتف :

- أعنى أننا قد أمسكنا به يا دكتور (حجازى) .

ولوحّت بقبضتها ، مستطردة ، بكل حزم وحماس

الدنيا :

- أمسكنا طرف الخيط .

قالتها ، وقلبها يخفق بعنف ..

بمنتهى العنف .

* * *

٢- غيبوبة ..

ارتسم مزيج من القلق والتوتر البالغين ، على وجه القائد الأعلى ، وهو يتابع التقارير الأخيرة ، الواردة من فرق المراقبة ، ثم أشار بيده إلى الدكتور (جلال) ، قائلاً :

- الأمر صار بالغ الخطورة بالفعل .. إنها مركبة فضائية .. لا شك في هذا .. مركبة قادمة من مكان ما ، في الكون الفسيح ، حاملة ما يمهد لغزو جديد .
تتحجج الدكتور (جلال) ، وهو يقول في توتر معائل :

- لم يثبت بعد أن ...

قاطعها القائد الأعلى في صرامة عصبية :

- لم يثبت ماذا يا دكتور (جلال) ؟! لدينا تكنولوجيا متطورة إلى هذا الحد ؟! بل لدى أية دولة أخرى مثلاً ؟! كلا يا دكتور (جلال) .. الأمر لم يعد بحاجة إلى مزيد من الإثباتات .

تتحجج الدكتور (جلال) مرة أخرى ، قبل أن يقول ، وقد تضاعف توتره :

- طبقاً للمنهج العلمي المحض ، لا يمكننا نفى أو إثبات هذه الحقيقة ، دون دليل واضح .. ربما لا تكون لدينا تكنولوجيا مماثلة ، ولكن لا يمكننا الجزم بأنه لا توجد مثل هذه التكنولوجيا المتطورة لدى دول أخرى .. (أمريكا) مثلاً ، أو (اليابان) .. أو حتى دول الكتلة الأوروبية ، ولو كسلاح سرى يتم تطويره .. وربما اختباره على أرضنا .

هز القائد الأعلى رأسه في حدة ، قائلاً :

- لا يمكننا قط نفى احتمال الغزو الفضائي .. سنضعه على قائمة الاحتمالات ، ونتخذ كل الاحتياطات اللازمة لمواجهته ، إلى أن يثبت العكس .. ألم تقرأ مضمون تلك الإشارات المنعكسة ، كما ترجمها علماء مركز الاتصالات الفضائية ؟! « كل شيء معد .. نحن في انتظاركم .. » .. ما الذي يمكن أن تعنيه رسالة كهذه في رأيك .. وبالأذات عندما تنطلق من الأرض ، عبر جهاز بث فضائي ، إلى منطقة ما في الكون ؟! ألا تعنى ، وبكل وضوح ، أنه هناك من يبلغ رؤساءه بأن الأرض ممهدة للغزو ؟!

قال الدكتور (جلال) في عصبية :

- لقد كانت إشارة منعكسة .

لَوْح القائد الأعلى بيده ، هاتفًا :

- من حسن حظنا .

قال الدكتور (جلال) فى سرعة :

- أو من حسن تخطيطهم .

انعقد حاجبى القائد الأعلى فى شدة ، وهو يقول :

- ماذا تعنى ؟!

أجابہ الدكتور (جلال) فى انفعال :

- أعنى أنه لو كنت جاسوسًا فضائيًا محترفًا ، على

هذا القدر من الذكاء والبراعة والخطورة ، وأردت

إرسال إشارة خاصة إلى كوكبى ، تمهيدًا لبدء حملة

غزو فضائى ، فلن أقع فى خطأ انعكاس بسيط ، يمكن

أن يعكس نسخة من إشارتى إلى الكوكب ، الذى ينوى

قوسى استعمارہ ، وأنا أدرك جيدًا أن تقنيته قادرة

على كشف مضمون الرسالة .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، وهو يغغم :

- هل توحى بأن ..

قبل أن يتم عبارته ، انبعث أزيز جهاز الاتصال

الخاص على مكتبه ، فأشار بيده للدكتور (جلال) ،

وهو يضغط زر الجهاز فى سرعة ولهفة ، وتحرك

هذا الأخير من مكانه ، فى خطوات سريعة متوترة :

ليلقى نظرة على الوجه ، الذى ظهر على شاشة

هاتف الفيديو ، على الرغم من أن هذا يتنافى مع

أبسط قواعد اللياقة والأمن ، وسمع صاحب الوجه

يقول فى اهتمام :

- سيدى القائد .. لقد تم تحديد الموقع الجديد

للهدف .

هتف القائد الأعلى فى حماس :

- حقًا ؟!

أما الدكتور (جلال) ، فقد جف حلقه فى لحظة

واحدة ، وهو يتمتم :

- هل توصلوا إلى موقع المركبة الفضائية ؟!

أشار إليه القائد الأعلى بالتزام الصمت ، وهو

يسأل الرجل :

- أنتم واثقون من هذا ؟!

أجابہ الرجل ، فى صوت حاسم واثق :

- بالتأكيد يا سيدى .. لقد كانت أجهزة البحث

والمراقبة تعمل بالفعل ، عبر الأقمار الصناعية ،

عندما نسفت تلك المركبة العجيبة فريق البحث ، مما جعل الانتظار كلها تتجه إليها ، وتتابع حركتها السريعة ، حتى اختفت وسط الصحراء ، وهنا قمنا بتحديد منطقة الاختفاء ، وفحصها بأجهزة المراقبة المقرّبة ، ولجهاز الفحص الطيفي (*) ، ولجهاز الأشعة دون الحمراء ، حتى تم حصرها ، وتحديد موقعها الحالي بمنتهى الدقة ، على الرغم من اختفائها وسط أجسام شبيهة .

بدا الاهتمام البالغ على القائد الأعلى ، وهو يقول :
- عظيم .. لا تحاولوا استقراؤها ، أو إثارة انتباهها ، بأي حال من الأحوال .. لا نريدها أن تشعر بأننا قد كشفنا أمرها .. اكتفوا بمراقبتها طوال الوقت ، والتيقن من موضعها بمنتهى الدقة .

أجابه الرجل في حزم :

(*) كل معدن أو عنصر في الوجود له مقياس طيفي خاص به ، ويترك طيفاً خطياً خاصاً ، في مقياس الطيف (ميكروسكوب) ، ولا يمكن أن يتشابه عنصران ، أو تتشابه مادتان ، في ذلك الطيف الخطي . الذي يتم بواسطة تحديد هوية معظم الأجسام الفضائية .

- غمّ وسينفذ يا سيدي .

وما إن أنهى القائد الأعلى الاتصال ، حتى سأله الدكتور (جلال) في لهفة :

- ماذا تنوى أن تفعل !؟

أجابه القائد الأعلى ، وهو يضغط زرّار هاتفه الخاص :

- سأجرى اتصالاً عاجلاً ، بقائد القوات الجوية .

سأله الدكتور (جلال) في دهشة قلقة :

- ولماذا !؟

أجابه القائد الأعلى في حزم :

- ما دامت تلك المركبة مجهولة الهوية قد أعلنت الحرب ، فعليها أن تتحمل كافة النتائج ، المترتبة على هذا .

اتسعت عينا الدكتور (جلال) ، وهو يهتف :

- ربّاه ! هل تقصد أننا سـ ..

قاطعته القائد الأعلى ، في حزم صارم :

- ما الإجراء المنطقي ، الذي عليك أن تفعله ، إذا

ما ظفرت بكتائب الاستطلاع الأولى للعدو !؟

ألقي سؤاله ، في نفس اللحظة التي ظهرت فيها
صورة قائد القوات الجوية ، على شاشة هاتف الفيديو
الخاص ..
بكل وضوح .

* * *

بدت الحيرة ممتزجة بالدهشة ، على وجه رئيس
وأطباء قسم العناية الخاصة ، وهم يراقبون ما تفعله
(نشوى) بجهاز رسم المخ الإلكتروني ، المتصل
برأس والدها (نور) ، عملها الدعوب لمد بعض
الأسلاك منه ، إلى جزء خاص ، في جهاز الكمبيوتر
النقل الخاص بها ، ثم لم يلبث رئيس القسم أن قال ،
في شيء من العصبية :

- سيّتي .. هل تدرकिन ما تفعلينه بالضبط ؟!
أجابته في حزم ، وهي تواصل عملها في اهتمام
بالغ :

- إنني خبيرة كمبيوتر محترفة أيها الطبيب .
أجابها في عصبية :
- أعلم هذا يا سيّتي ، ولكنك لست على دراية
طبية كافية ، للتعامل مع أمر كهذا .. ماذا لو تسبّب

ما تفعلينه في إيذاء والدك ؟! من سيتحمّل المسؤولية
عندئذ ؟!

رفعت رأسها إليه ، مجيبة في حسم :
- ما أفعله لا يمكن أن يؤذى والدي أيها الطبيب ،
والأما جرؤت على فعله قط .. كل ما هناك هو أنني
سأنقل الإشارات الصادرة من مخه إلى جهاز
الكمبيوتر ، الذي سيستخدم برنامجاً خاصاً جداً ، قمت
بتطويره مؤخراً ، لحساب القسم الطبى في مركز
الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية .
سألها الرجل مبهوراً :
- أى برنامج هذا ؟!

أجابته ، وهي تواصل عملها بنفس الاهتمام :
- برنامج خاص بترجمة إشارات المخ ، وتحويلها
إلى لغة خاصة ، يمكن للكمبيوتر ربطها بمفردات
اللغات الحية المعروفة ، وتحويلها بالتالى إلى عبارات
مكتوبة أو مسموعة ، تنقل ما يدور في رأس
صاحبها .

غبغم أحد الأطباء ، في دهشة بالغة :

- رياه ! أهو برنامج قراءة الأفكار ، الذى قرأنا عنه فى طفولتنا (*) ؟!

أشارت بسبباتها ، قائلة :

- بالضبط .. هذه نسخة مطورة منه .. ولو نجحت التجربة ، ستشاهد عملها بنفسك .

التقى حاجبا رئيس القسم بضع لحظات ، وكأنما يحاول استيعاب الأمر ، قبل أن يتساءل فى توتر :

- ولماذا تفتلين هذا يا سيدتى ؟! ما الذى تتوقعين الحصول عليه ؟!

أجابته فى حماس :

- كل شيء .

هتف معترضاً :

- مثل ماذا ؟!

توقفت عن عملها ؛ لتجيب فى حسم :

(*) منذ أواخر الثمانينات ، يعكف العلماء على دراسة الموجات والإشارات الصادرة عن المخ البشرى ، وبإذات موجات (جماعية) ، على أمل أن يتوصلوا فى المستقبل إلى وسيلة لقراءة الأفكار إلكترونياً ، ولقد نجحت تجاربهم إلى حد محدود ، وأمنهم فى نهاية التسعينات أن يتوصلوا إلى خدعة خاصة ، تنقل بعض الأوامر المحدودة ، من لابسها إلى أجهزة إلكترونية ، بمجرد التفكير فيها .

- لتحصل على جواب سؤالك ، دعنا نستعد ثلاثة

أمور بالغة الأهمية أيها الطبيب .. أولها هو نتائج فحص التوصيل ، بين أمخاخ المصابين ، وأليافهم العصبية ، والتي تشير فى وضوح إلى أن المخ يعمل فى نشاط ، ولكن الأطراف لا تتلقى ذلك النشاط ، بسبب خلل فى التوصيل ، عند الفقرة العنقية السابعة ، مع كل ما يثيره هذا من حيرة طبية وعلمية ، والثانى هو أن شخصاً ما قد التحل هوية عالم من علماء مركز الأبحاث ، ليختلى بزوجى وأمس ، ويحققهما بعقار خاص ، يستخدم لانتزاع المعلومات .. ألم يسأل أحدكم نفسه ، كيف يمكن أن ينتزع المعلومات ، من أشخاص فاقدى الوعي بهذا العمق ؟!

تبادل الأطباء نظرة متوترة ، فى حين قال الدكتور

(حجازى) فى حماس :

- سؤال وجيه للغاية .

هتف أحد الأطباء :

- ولكنه حققهما بمادة مضادة على الأرجح .

سألته (نشوى) فى سرعة :

- هذا يطرح السؤال الأول... مادة مضادة لماذا ؟
 للغيبوبة ، أم للإصابة الحقيقية ، التي يعانون منها ؟
 غمغم الأطباء فى دهشة :
 - إصابة حقيقية ؟
 أما رئيس القسم ، فقال فى عصبية :
 - سيدي .. أنت تجعلين الأمر يبدو فى صورة
 معقدة للغاية .
 أشارت بسميتها ، قائلة :
 - إنه كذلك بالفعل يا سيدي ، ولتدرك هذا ، دعنا
 نتجه إلى الأمر الثالث ، والذي يبدو ، فى رأيي أنا ،
 الأكثر أهمية وخطورة .
 سألتها رئيس القسم فى توتر :
 - وما هو ؟
 أجابت فى حزم :
 - زميلنا (أكرم) .
 بدت الدهشة على وجوه الجميع ، واعتدل الدكتور
 (حجازي) ، متمسلاً :
 - وماذا عنه ؟
 قالت فى سرعة :

- كل شيء فيه يذلل عن الآخرين .
 سألتها رئيس القسم ، فى اهتمام حقيقى :
 - كيف ؟
 أجابت فى انفعال ، جذب انتباه الجميع :
 - فى البداية كان الوحيد الذى استعاد وعيه
 للحظات ، بعد أن أصابته تلك المادة الكيماوية
 الغامضة ، بغصيرها المجهولين للجميع .. والكلمات
 القليلة ، التى نطق بها ، كانت عجيبة للغاية ..
 « رباه ! إنها ليست غيبوبة يا (نور) .. لقد كنت
 أشعر بـ ... » .. قلها ، وفقد وعيه ، ليلحق بالآخرين ،
 وعندما قعتم بفحص قدرة أعصابه على التوصيل ،
 وجدتم أنها ثلاثة أضعاف قدرتها عند الآخرين ، فما
 الذى يعنيه هذا بالضبط ؟
 غمغم رئيس القسم :
 - أخبرينا أنت .
 أجابت فى سرعة :
 - يعنى أمرين بالفى الأهمية .. أولهما أن سقوطنا
 فى النبل ، بعد إصابة (أكرم) مباشرة ، قد لذى إلى
 تغير ما فى طبيعة تلك المادة الكيماوية ، مما سمح
 لـ (أكرم) باستعادة وعيه لوضع لحظات .

هتف الدكتور (حجازى) :

- بالطبع .. إنه الماء .. ماء النيل .. سر الحياة ..
لقد ذاب جزء كبير من تلك المادة فى ماء النيل ، مما
خلف من تأثيرها ، وجعله يستعيد وعيه لبعض
الوقت .

أشارت بسبابتها ، قائلة :

- بالضبط ، لقد منع الماء عملية الامتصاص الكامل
للمادة ، وهذا هو الأمر الأول ، أما الأمر الثانى ،
فهى كلمات (أكرم) نفسها ، والتى كان ينبغى أن
نتوقف عندها منذ البداية ، وخاصة عبارته الأولى ،
التي تحسم الأمر كله .

واتعقد حاجباها فى حزم ، وهى تكمل :

- إنها ليست غيبوبة يا (نور) .

عاد الأطباء يتبادلون نظرة متوترة ، فى حين

غمغم الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

- هذا صحيح يا (نشوى) .. كان ينبغى أن تحسم

عبارة (أكرم) الأمر منذ البداية .. لقد خاض التجربة
بنفسه ، وخرج منها بضع لحظات ، ليعلم أن ما أصابه
لم يكن غيبوبة بالمعنى المعروف .

قال رئيس القسم متوتراً :

- وهل يمكنك أن تعتمد على معلومة ، نطقها رجل

مصاب ، فى ظروف كهذه ؟!

أجابته (نشوى) :

- بالتأكيد ، خاصة لو أضفنا إلى العبارة الأولى

عبارته الثانية ، والتي قال فيها : إنه كان يشعر

بشيء ما .. ألا تدركون ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابها رئيس القسم ، وقد انتقل إليه حماسها :

- يعنى أنه كان يشعر ويحس ، فى أثناء وقوعه

فى تلك الغيبوبة .. أقصد فى تلك الحالة .. ليس المهم

ما كان يشعر به .. المهم أنه كان يشعر ، وهذا يعنى

أنها ليست غيبوبة .. ليست كذلك على الإطلاق ..

رابع يا سيدتى .. عقليتك الاستبطائية المدهشة تفوقت

عينا جميعاً .

تمتم الدكتور (حجازى) مبهوراً ، بلهجة شديدة

التأثر :

- لقد أنجبت يا (نور) .. أنجبت حقاً .

أما رئيس القسم ، فقد تضاعف حماسه ، وهو

يواجه باقى الأطباء ، قائلاً :

- الآن فهمت الأمر كله .. لقد أخطأنا جميعاً منذ البداية ، عندما تعاملنا مع الأمر باعتباره غيبوبة .. كان ينبغي أن نقتنع بما أشارت إليه أجهزة رسم إشارات المخ ، عندما أكدت أنه يحتفظ بنشاطه كاملاً .
تسأل أحد الأطباء في حيرة :

- لو أنها ليست غيبوبة عيقة ، فما هي إذن ؟
أجابه في حزم ، وهو يشير إلى (نور) .. الرافد بلا حراك .

- حالة من الشلل الكامل ، ناشئة عن عقار مجهول .. شلل يصيب كل أجهزة الجسم ، بعد الفقرة العنقية السابعة .

قال أحد الأطباء في دهشة :
- ولكن هذا يعنى أن الحواس الخاصة مازالت تعمل بكفاءة .

هتف رئيس القسم :
- بالضبط .

ثم عاد يشير إلى (نور) ، مستطرداً :
- يمكننا إجراء تجربة صلية ذلك .

قَالَهَا ، واتجه نحو (نور) ، وهو يقول بنفسه الحماس :

- سيادة المقدم .. لدى اعتقاد علمي بأنك تسمعنا منذ البداية .. وتشعر بكل ما يدور حولك ، وأنت تفهم كل ما أقوله الآن ، لذا فأنا أطلب منك التعاون معنا .
قالت (نشوى) في توتر :

- دعنى أواصل جهازى أولاً ، و ...
قاطعها رئيس القسم ، وهو يواصل حديثه مع (نور) ، الرافد أمامه فى سكون ، وكأنه لم يسمعها :

- امنحنا إشارة واحدة على ذلك .. ركز أفكارك ، واسترجع أية ذكريات ، تشير فى نفسك الانفعال .. ذكريات سعيدة جداً ، أو حزينة للغاية .. المهم أن تتفعل ، وأن تنقل إلينا إشارات مخك هذا الانفعال .

تعلقت عيون الجميع بشاشة رسام المخ الإلكتروني ، وراحوا يتابعون إشارات المنتظمة ، ورئيس القسم يتابع ، فى انفعال أكثر :

- هيا أيها المقدم .. هيا .
تطلعت (نشوى) مثلهم إلى شاشة رسام المخ الإلكتروني ، وقلبها يخفق فى قوة ..
ولكن الإشارات ظلت على انتظامها ..
ورتابتها ..

وبطلها ..

وانتفض قلب (نشوى) فى علف ..
نرى هل لخطأت تفسير الأمر منذ البداية ؟
هل بنت استنتاجاتها كلها على أخطاء ؟
هل ..

قبل أن تكتمل تساؤلاتها ، اندفع أحد الأطباء إلى
الحجرة بقتة ، وهو يهتف فى ازعاج :
- سيدي .. السيدة (سلوى) .. إنها ..
التفت إليه الجميع فى توتر ، وهتف به ريمس
القسم :

- إنها ماذا ؟

عجز الطبيب الشاب عن النطق لحظة ، ثم لم يلبث
أن اندفع ، هاتفًا :
- إن حالتها تتدهور بسرعة مخيفة ، كما لو ..
لو ...

واحتبس صوته ، قبل أن يكمل بصوت متحرج :
- كما لو أنها تموت .
شهقت (نشوى) ، هاتفًا :
- يا إلهي ! أمي .



تطلعت (نشوى) مثلهم إلى شاشة رسام المخ الإلكتروني ،
وقلبها بحقق فى قوة

واندفعت مع رئيس القسم ، وعدد من الأطباء ،
إلى حجرة أمها ..

واستدار الدكتور (حجازي) ؛ ليلحق بالجميع ،
ولكن أحد الأطباء أمسك ذراعه في قوة ، وهو يهتف
في انفعال :

- رباه ! انظر يا سيدي .

استدار الدكتور (حجازي) في سرعة ، إلى حيث
يشير الطبيب ، ولم يكد يتطلع إلى شاشة رُمُام المخ
الإلكتروني ، حتى انتقل إليه انفعال الرجل في عنف ..
هذا لأن إشارات المخ قد أصيبت بجنون ، وراحت
تتغافز علي نحو عجيب ..

نحو يؤكد أن (نور) ، الرائد في صمت وسكون ،
يعاني من انفعال شديد ..
شديد للغاية .

★ ★ ★

« فب .. دخول المستشفى ممنوع ، بأمر السلطات
العليا .. » .

هتف جندي الحراسة بالعبارة في صرامة ، في
وجه ذلك الرجل ، الذي تقدم نحوه في هدوء ، والذي

واصل تقدمه ، وكأنه لم يسمعه ، فشهر الجندي
مدفعه النيزي ، وهو يقول في عصبية :

- خطوة أخرى وأطلق في العمليان مباشرة .. هذه
هي الأوامر الـ ...

قبل أن يتم عبارته ، تحرك ذلك القادم بسرعة
مذهلة ..

مذهلة بمعنى الكلمة ..

لقد بدا لحظة وكأنه قد اختفى من موضعه ، قبل أن
يظهر بقتة ، على مسافة نصف المتر ، إلى يمين
الجندي ، ثم يقبض على عنقه ، قائلاً بصوت صارم
مخيف :

- بالنسبة لي ، كل أوامركم لا تعني شيئاً يا هذا .
اتسعت عينا الجندي في ذعر وألم ودهشة ، وشعر
بقنبلة من اللهب تنفجر في عنقه ، وانطلقت من حلقه
شهقة لم تكتمل ، و ...

وتهاوى جثة هامدة ..

وفي هدوء عجيب ، تجاوزه ذلك القادم ، وألصق
راحتيه برتاج الباب الإلكتروني ، فافتتح بسرعة ، وكأنما
استقبل شفرته السرية ، وافتتح الباب على مصراعيه ..

وينفس الهدوء المستفز ، سار القادم عبر المعبر الصغير ، الذى يقود إلى الحديقة الخلفية للمستشفى ، وتوقف فى نهايته ، يلقى نظرة على رجال الأمن ، الذين انتشروا فى الحديقة ، قبل أن يغتم :
- سبعة عشر متراً .. اعتقد أن الزمن سيكونى .
قالها ، وضغط بضعة أزرار فى حزامه ، فالتبعث من الحزام أزيز خافت ، و ...
واختفى جسده بقعة ..

وعبر الحديقة الخلفية ، بدت آثار أقدام واضحة لكانن خفى ، تحرك فى سرعة ، حتى بلغ مبنى المستشفى ..
ولعشرة أمتار أخرى ، داخل معمرات المستشفى ، ظل الغلاف الكهرومغناطيسى المحيط به يعمل بكفاءة ، ثم لم يلبث الحزام أن بعث أزيزاً آخر ، يعلن انتهاء فترة الإخفاء الممكنة ، فتحرك الشخص فى سرعة ، ليختفى خلف حاجز خشبى ، قبل أن يعود جسده للظهور ..

كان من الواضح أن قدرته على الاختفاء محدودة ، لذا قد بدأ يتحرك فى حذر ، عبر المعمرات المختلفة ، حتى بلغ قسم العناية الخاصة ..

وفى هدوء ، وقف يتطلع إلى الحراسة المكثفة ، عند حجرات أفراد الفريق ، ثم غمغم فى خفوت :
- هل تتصورون أن هذا سيعيقنى ؟! يا للسخافة !
لم يكذب بتم عبارته ، حتى رأى فريق الأطباء يندفع من حجرة (نور) إلى حجرة (سلوى) ، ويصحبته (نشوى) ، ثم تبعها طبيب آخر ، مع الدكتور (حجازى) ، فتعمم :

- لقد بدأت الأعراض الارتجاجية .. هذا يعنى أن تتحرك بسرعة ، قبل أن تفسد العملية كلها .
قالها ، وعاد يضغط تلك الأزرار فى حزامه ، فالتبعث الأزيز الخافت مرة أخرى ..
واختفى جسده ثانية ..

وعلى شائبة صغيرة أمام عينيه ، راح مصباح خافت يومض وينطفئ ، معلناً أن الطاقة المتوافرة لا تكفى لعملية إخفاء طويلة ، مما دعا ذلك للشخص إلى التحرك فى سرعة ، وهو يقول لنفسه :
- من المؤسف أنك الشخص الوحيد ، الذى يفسد قتله العملية كلها يا (نور) .. خاصة وأننى قد قررت نقل الخطة إلى المرحلة التالية .

واعتقد حاجباه ، وهو يتجه نحو حجرة (أكرم) ،
مكملاً لنفسه :

- مرحلة التصفية الجزئية .

تجاوز حارسا الحجرة فى خفة وسرعة ، دون أن
يشعرا به ، فى ردايه الكهرومغناطيسى الخفى ، الذى
لم يكد يتجاوز باب الحجرة ، حتى ثلاثى دفعة واحدة ،
مع التبعث ذلك الأزيز الخافت من حزامه ..

وفى هدوء ، دفع الشخص باب حجرة (أكرم) ،
ليقلعه فى خفة ، من خلف ظهر الحارسين ، اللذين
يراقبان الممر فى حزم صارم ، ثم وقف يتطلع إلى
(أكرم) بضع لحظات ، قبل أن يقترب منه ، ويتوقف
إلى جوار فراشه ، قللاً :

- أنت تسمى بالتاكيد أيها الهمجى .. هل تصدق
أننى انتظرت هذه اللحظة طويلاً ؟ طويلاً جداً .. لم
أكن أرغب قط فى أن أجعل منك ضحيتى الأولى ..
كنت سأدخرك للنهائية .. كنت آخر من سيلقى مصرعه
من أفراد الفريق ، طبقاً للخطة التى أعدتها بعناية
بالغة ، طوال عامين كاملين .. (نور) وحده كان
سيفقى فى النهائية ، ليحمل العار كله .. كل شيء

عنكم قرأته ودرسته بمنتهى العناية .. كل الأحداث ..
كل التفاصيل .. حتى التقارير النفسية ، والعينات
الحيوية الخاصة بكم .. كل شيء .. ولكن من
الواضح أن الأمور لا يمكن أن تسير طبقاً لما يريد
المرء .. سقوطك فى النيل أفسد كل شيء .. ولو
أدخرك للنهائية الآن ، فستلت منى للأبد ..
وفى هدوء ، أخرج من جيبه كرة صغيرة ، وهو
يتابع :

- لذا فسأقوم بتعديل بسيط فى الخطة .. سأقل
اسمك من نهاية القائمة إلى بدايتها ..
ورفع الكرة الصغيرة نحو رأس (أكرم) ، متابعاً
فى صرامة :

- الوداع أيها الهمجى ..

وعلى شاشة رنّام المخ الإلكتروني ، بدا من
الواضح أن تلك الكلمات الأخيرة قد أُنشِرت ، فى
أصاقي (أكرم) الكثير من الانفعال ..
انفعال عنيف ..

مخيف ..

ومميت ..

٣- الحصار ..

« من السرب المسابع إلى القيادة .. نحن فوق الهدف مباشرة ، وننتظر الإذن بالهجوم .. » .
اتخذ حليبا القائد الأعلى ، وسرى التوتر في عروقه ولامحه وصوته ، وهو يقول لقائد القوات الجوية ، في حجرة مكتب هذا الأخير :
- ما قولك الآن ؟

مطّ قائد القوات الجوية شفتيه ، وهزّ كتفيه ، وهو يلقي نظرة على ساعة يده ، قبل أن يقول :
- الأمر لا يحتاج إلى مجرد قول أيها القائد ، وإنما إلى قرار حاسم حكيم ، يستند إلى دراسة جيدة ، وهذا ما لم يتوفر لنا ، مع هذه التحركات السريعة .
هتف الدكتور (جلال) في عصبية :

- ماذا تعني ؟ هل ستراجع عن الهجوم الآن ؟

هزّ قائد القوات الجوية رأسه في حزم ، قائلاً :

- ليست مسألة تراجع أو إقدام ، وإنما مسألة

حسابات استراتيجية ومنطقية ، وهذا يحتاج إلى قرار

مشترك .. لقد أصدرت أوامري للسرب المسابع بالانطلاق ، بناء على قول قائد المخابرات العلمية ، إن الأمر لا يحتمل الانتظار ، وعند وصولكما إلى هنا ، اتضح لي أننا لا نطارذ طائرة متسلّلة ، أو جيشاً يهجم بعبور حدودنا ، وإنما نسعى خلف مركبة فضائية مجهولة ، تمتلك قدرات قتالية وتكنولوجية تفوقنا بمراحل ، ثم إننا نجهل ردود أفعالها ، إزاء الهجوم الجوي المباشر .

قال القائد الأعلى في حزم :

- لقد أسفرت عن ردود أفعالها ، عندما نسفت فرقة البحث بلا رحمة .

أشار قائد القوات الجوية بسبابته ، قائلاً :

- بالضبط .. وهذا يعني أنها متحفزة لرد الهجوم بأخر عنيف ، وبتكنولوجيا متفوّقة ، وأسلحة لم تصمد أمامها فرقة البحث سوى لحظات ..

زفر القائد الأعلى ، وتراجع في مقعده ، متسائلاً :

- أتخشى أن تقوم بتدمير رجالك أيضاً ؟

أجاب الرجل ، في سرعة وحزم :

- بالتأكيد .. رجال السرب السابع هم خيرة شبابنا ،
وأكفأ طيارينا ، وليس من السهل أن نجازف بإرسالهم
إلى مهمة تجهل عواقبها إلى هذا الحد .

هتف الدكتور (جلال) :

- ولكنهم فوق الهدف بالفعل .

أجابه قائد القوات الجوية فى حزم :

- ولن يتراجعوا قط ، حتى تصدر إليهم الأوامر
بهذا .. وإذا ما كان الأمر بالهجوم ، فسينقضون ،
ويقاتلون ، حتى آخر طائرة ، وآخر رجل .. ليس
لدى أننى شك فى هذا ، وهذه ليست قضيتنا .. المهم
هو هل نهاجم ، أيا كانت النتائج ، أم نكتفى بالرصد
والمراقبة والحصار ، حتى يجتمع مجلس الأمن
القومى فى الصباح ، ويتخذ قراراً مناسباً ؟

هز القائد الأعلى رأسه فى حسم ، ونهض من
مقعده ، وشبك كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :

- كلاً أيها القائد .. لا يمكننا الانتظار للصباح ..
الأحداث تجرى بسرعة ، وذلك الجاسوس الفضائى
يدرك جيداً أن أمره قد اتكشف ، وأن القتال يتم الآن
على نحو مختلف ، ولا أحد يمكنه استنتاج ردود فعله

إزاء هذا ، أو سرعة تحركاته القادمة ، وهذا يعنى أن
لكل دقيقة ثمنها الآن .. بل لكل ثانية .

أوما قائد القوات الجوية برأسه متفهماً ، وهو
يقول :

- وماذا لو كانت هناك مركبات فضائية أخرى ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة :

- لدينا ما يدعونا للاعتقاد بأنه لا يوجد سوى تلك .
أوما قائد القوات الجوية برأسه متفهماً مرة أخرى ،
وعاد يلقي نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها
إلى الواحدة ، بعد منتصف الليل ، قبل أن يقول فى
حزم :

- فليكن .

ثم ضغط زر الاتصال ، وقال :

- من القائد إلى السرب السابع .. أما زلتم ترصدون
الهدف ؟!

أتاه صوت قائد السرب السابع ، وهو يجيب :

- إتينا فوقه مباشرة أيها القائد .

بدا صوت قائد القوات الجوية قوياً ، حازماً ،
حاسماً ، وهو يقول :

- اهجم .

أتاه صوت قائد السرب السابع ، وهو يقول بحزم
ممثّل :

- غلّم وسينفذ يا سيّدى .

أنهى قائد القوات الجوية الاتصال ، والتقط نفساً
صيقاً ، قبل أن يرفع عينيه إلى القائد الأعلى
والدكتور (جلال) ، قائلاً :

- أتعلم أن نكون قد اتخذنا القرار المناسب .

ولم يجب أى من الرجلين ..

بل لم ينبس أحدهما ببنت شفة ..

فقط تبادلًا نظرة متوترة ، تحمل كل قلق الدنيا ..

نظرة تعنى أن ما يأمله قائد القوات الجوية ، هو
نفسه ما يأمله الجميع ..

بلا استثناء ..

★ ★ ★

انتشر فريق الأطباء بسرعة مذهلة ، فى حجرة
العناية الخاصة ، التى ترقد فيها (سلوى) ، وراح
بعضهم يقيس معدلاتها الحيوية ، والبعض الآخر
يفحص الأجهزة المتصلة بها ، لينأكد من أنها تعمل

بكفاءة ، فى حين أنهمك رئيس القسم فى مراجعة
ماسجلته أجهزة القياس الرئيسية ، وهو يقول :

- ربّاه ! معدلاتها تتدهور بسرعة مخيفة بالفعل ..
اتخذوا الإجراءات لتنشيط القلب والدورة الدموية
بأقصى سرعة ، و ...

هتف أحد الأطباء فجأة ، بصوت يشقّ عن دهشة
بالغة :

- سيّدى .. انتظر .. شاشة مراقبة الجنين .

أدار الجميع رؤوسهم ، إلى حيث يشير الطبيب ،
وتعلقت عيونهم بشاشة صغيرة ، تنقل ، على نحو
منتظم ، صور بالموجات فوق الصوتية ، للجنين الذى
تحمله (سلوى) ، والذى بدا وكأنه يتحرك فى
عصبية شديدة ، على نحو غير مألوف ، بالنسبة
للجنة البشرية على الأقل ..

وفى قلق أقرب إلى الذعر ، تساءلت (نشوى) :

- ماذا يحدث ؟! ربّاه ! ماذا يحدث ؟!

هزّ رئيس القسم رأسه ، فى حيرة بالغة ، وهو
يجيب :

- لست أدرى يا سيّنتى .. صدّقينى .. لست أدرى ..
لقد كان الجنين فى حالة جيّدة ، منذ وصول أمك إلى

هنا ، على الرغم من إصابتها العنيفة ، وتلك المادة
الكيمائية الغامضة في دملها ، ولست أدري ماذا
أصابه فجأة ؟! ولماذا ؟!

ثم التفت إلى أحد الأطباء ، مستطردًا في توتر :
- استدع أحد كبار الإخصائيين ، من أقسام النساء
والتوليد .. أريد فحص هذه الـ ...

قبل أن يتم عبارته ، توقف الجنين عن تحركاته
العصبية بقتة ، وعاد إلى هدونه الطبيعي للبسيط ، في
حين راح جهاز فحص الدم الدائم يرسم إشارات
سريعة متزايدة ، على شاشة العرض الخاص به ،
والتي حذى فيها الجميع ، دون أن ينبس أحدهم ببنت
شفة ، وكأنما أذهلهم ما يرونه إلى أقصى حد ..

الدكتور (حجازي) وحده تكلم ، وقال بدهشة
كبيرة :

- رباه ! ذلك الهرمون .. إنه يتزايد في دملها
بسرعة مذهلة .

غمغمت (نشوى) بصوت مرتجف :

- أي هرمون ؟!

أجابها ، وعيناه معلقتان بشاشة الجهاز :

- هرمون خاص ، تفرزه المشيمة(*) ، في فترات
الحمل الأولى ، ومهمته حماية الجسم من أية
تدهورات ، ومنحه الطاقة اللازمة للجهد الزائد ..

سألته في حيرة :

- ولماذا يتزايد إفرازه على هذا النحو ؟!

غمغم مبهورًا :

- بسبب حركة الجنين غير الطبيعية على الأرجح .

تمتمت :

- ولماذا هذه الحركة غير الطبيعية ؟!

لم يجب الدكتور (حجازي) هذه المرة ، وإنما بدا

مبهورًا بحق ، وهو يشير بسبابته إلى لوحة المعدلات

الحوية ، التي راح الجميع يحدقون فيها بذهول ..

(*) المشيمة : قرص غليظ مقووس ، شبه لحمي ، ملتصق
بباطن جدار الرحم ، ويتصل بالجنين بواسطة الحبل السري ، قطره
حوالي (١٥ سم) ، وسمكه حوالي ($2\frac{1}{4}$ سم) ، ووزنه المعتاد في
حدود رطل واحد ، وهو عضو مؤقت ، يرتبط بفترة الحمل ،
وتتخلله أوعية دموية كثيرة ، ووظيفته إجراء عمليات التبادل
الغذائي والأكسجين ، بين دم الأم ودم الجنين ، كما أنه يلرز عددًا
من الهرمونات ، بعضها معروف ، وبعضها مازال قيد البحث
والدراسة .

فبسرعة مذهشة ، راحت المعدلات المتدهورة
تتحسن ، وترتفع أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

حتى عادت إلى ما كانت عليه ، قبل أن يحدث ذلك
التدهور مباشرة ..

وفي انبهار ، اتسعت عيون الجميع ، وهبط عليهم
جبل من الرهبة والخشوع ، ورئيس القسم يتمتم :

- سبحانه الله (العلى القدير) .

ثم غمغم طبيب آخر في انبهار :

- لقد أنقذها ذلك الجنين ، دون أن يدري .

تنهّد الدكتور (حجازى) ، متعمّناً :

- ومن أدراك أنه لا يدري ؟!

بدت الدهشة على وجوه الأطباء ، وهم أحدهم
يقول شيء ما ، و ...

وفجأة ، دوى الانفجار ..

انفجار مكتوم ، رددته جدران الحجرة فى عنف ..

انفجار حدث فى الحجرة المجاورة مباشرة .

حجرة (أكرم) ..

* * *

كل شرّ وشراسة الدنيا أطلّ من عيني ذلك
للشخص ، فى حجرة (أكرم) ، وهو يصوب كرتة
القاتلة ، نحو هذا الأخير ..

لم يكن يحتاج لأكثر من ضغطة بسيطة على
جدارها ، لتنتطلق منها كرة من النار ..

ويتحوّل (أكرم) إلى تاريخ ..

مجرد تاريخ لبطل سابق ، من أبطال المخابرات
العلمية ..

وعلى الرغم من صمته وسكونه الظاهريين ، كان
(أكرم) يعاني من الفعل عنيف ..

عنيف للغاية ..

كان يشعر ويحسّ بما حوله ، منذ أصابه ذلك
الشلل العجيب ، إلا أنه لم يكن قادراً على تحريك

إصبع واحد ..

أو حتى الصراخ ..

لسانه متجمّد فى فمه ، وجفناه متثاقلان ، وحلقه
مسدود بغصة كبيرة ، مع شعوره بالعجز واليأس ،

إلى أقصى حد ..

مرات عديدة فى الماضى ، راوده شعور بالعجز
واليأس ..

وفي كل مرة كان يتصور أنه لم يشعر بهما كذلك
المرّة ..

أما في هذه اللحظة ، فقد أدرك أنه في قمة اليأس
والعجز ..
أعلى قمة ..

إنه يرقد مشلولاً ، متهوراً ، وذلك الوغد على قيد
سنتيمترات منه ، يصوب إليه سلاحاً قاتلاً ، ويهمّ
بنسفه نفساً ، و ...

وفجأة ، اخترق مسامعه صوت خشن ، يهتف :
- إلى أين يا سيّتي ؟! هذا محظور تماماً ..
ثم سمع صوت باب الحجرة يُفتح في عنف ..
ووقع أقدام نسائية تعدو إلى الداخل ، مع صوت
زوجته (مشيرة) ، وهي تهتف في عصبية شديدة :
- لا تحاولي منعي .. زوجي يرقد هنا ، ولن ...
ثم بترت عبارتها ، لتطلق شهقة قوية ، ثم تهتف :
- ربّاه ! من أنت ؟! وماذا تفعل هنا ؟!
وانتفض قلب (أكرم) بين ضلوعه ..
بمنتهى العنف ..

وكم تمنى لحظتها لو استجاب جفناه وانفرجا ؛
ليلقي نظرة على ما يحدث ..

كم تمنى ؟!
ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ..
أو يراه ..

ففي تلك اللحظة ، مكثت (مشيرة) تواجه ذلك
الشخص ، الذي بوغت بدخولها المفاجئ ، فأدار
سلاحه نحوها ، ونحو رجل الأمن ، اللذين لحقا بها ،
و ...

وأطلق كرتة النارية ..
وبحركة غريزية ، مالت (مشيرة) جانباً ، وهي
تطلق صرخة فزع رهيبية ..
وبفارق سنتيمترات ثلاثة ، تجاوزتها كرة النار ،
وواصلت طريقها ، لترتطم بأحد رجال الأمن ، وتقتلعه
من مكانه ، لتلقى به إلى الخلف في عنف ، جعله
يتجاوز معر المستشفى كله ، ليصطدم بالجدار المقابل
لباب حجرة (أكرم) ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..
وقفزت إشارات مخ (أكرم) أكثر وأكثر ، مع
صرخات (مشيرة) المتصلة ، ورجل الأمن الثالث

ينتزع مسدسه الليزرى ، ويطلق أشعته نحو ذلك
الشخص ، الذى أدار كرتة نحوه بسرعة أيضا ..
وارتطم خيط الليزر بستره الشخص ، وانعكس
عنها فى عنف وقوة ، ليرتطم بالجدار ، ويصنع فيه
فجوة كبيرة ..

وضغط الشخص كرتة ..

وانطلقت كرة النار ..

وفى خفة ، وثب رجل الأمن جانبًا ، متفاديا الكرة ،
التي تجاوزته ، ليرتطم بالجدار ، وتتفجر بصوت
مكتوم ، فى نفس اللحظة التي قفز فيها رجل الأمن
إلى الأمام ، وأطلق أشعة مسدسه الليزرى مرة
أخرى ..

وفى هذه المرة ، أصاب خيط الليزر طرف عنق
ذلك الشخص ..

وتفجرت الدماء ..

دماء حمراء قاتية ، تناثرت على فراش (أكرم)
ووجهه ..

دماء دافئة ، شعر بها البطل ، وهو يرقد صامتًا ،
سلكنا ..

عاجزا ..

وصرخت (مشيرة) مرة أخرى ..

وارتفعت إشارات مخ (أكرم) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

أما ذلك الشخص ، فقد أصابه الجنون ، مع إصابة
عنقه ، فأطلق زمجرة قوية ، وهو يطلق معها كرة
نارية جديدة ، نحو رجل الأمن ..

ومرة أخرى ، تغادى رجل الأمن كرة النار ، فى
مهارة مدهشة ، وتركها تنفجر فى الجدار خلفه ..

وقبل أن يتلاشى دوى انفجارها المكتوم ، تعالى
وقع أقدام رجال الأمن الآخرين ، وهم يهرعون إلى
المكان ..

وتفجر الغضب فى أعناق الشخص ..

ووجهه ..

وملامحه ..

وحتى فى تلك الصرخة الغاضبة ، التي أطلقها ،
وهو يتراجع فى سرعة ، نحو نافذة الحجرة ..
واقترح رجال الأمن المكان ..

وصرخت (نشوى) :

- أمسكوه .. لقد حاول قتل (أكرم) .. أمسكوه .
وأطلق ذلك الشخص صرخة غاضبة أخرى ، عندما
ارتفعت فوهات الأسلحة الليزرية نحوه ..
ثم وثب نحو النافذة ..

ومع انطلاق خيوط الأشعة ، حطم جسده النافذة ،
وعبرها إلى حديقة المستشفى الخلفية ..
والدفع الجميع نحو النافذة المحطمة ، و (نشوى)
تهتف من خلفهم :

- لا تقتلوه .. ألغوا القبض عليه فحسب .. لا تقتلوه .
وما إن ألقى رجال الأمن نظرة على حديقة
المستشفى الخلفية ، التي هرع إليها رجال الأمن
الخارجين أيضاً ، حتى أدركوا أن هاتفها لم يكن يعنى
شيئاً ..

هذا لأن ذلك الشخص ، الذى وثب أمامهم عبر
النافذة ، لم يعد له وجود ..
لقد اختفى ..
اختفى تماماً ..

★ ★ ★



وصرخت (مشيرة) مرة أخرى ..
وارتفعت إشارات مخ (أكرم) أكثر ..

« السرب السابع .. استعداد للانقضاض على الهدف ..
سنستخدم الخطة الخاصة (م - ٣٠٠) ... »
انقلقت العبارة ، من بين شفتى قائد السرب إلى
رجاله ، عبر أجهزة الاتصال المحدودة ، فدارت
المقاتلات كلها دورة كاملة ، ثم اتخذت تشكيلاً أشبه
برأس السهم ، وهي تنقض على المركبة العجيبة ،
التي ربيضت ساكنة وسط صحور الصحراء ، مكتفية
بشكلها المموه المتقن ..
ولكن فجأة ، بدأت أجهزة الأمن داخلها تعمل ..
ورصدت تشكيل المقاتلات ، الذى ينقض عليها ..
وبسرعة ، راحت أجهزتها تفحص المقاتلات ،
وتدرس تكوينها ، ثم أخذت تراجعها على الأرشيف
الدقيق داخلها ..
وانطلق جهاز الإنذار ، والاستعداد للقتال ..
وفى غمضة عين ، تلاشى الغلاف المموه المحيط
بها ، وانطلقت محركاتها تعمل ..
ومن بعيد ، وعبر أجهزة الرؤية الليلية ، رصد
قائد السرب السابع تلك الظاهرة ، فهتف بكل قوته :
- الآن ..

وقبل حتى أن يكتمل هتافه ، انطلقت صواريخ
المقاتلات كلها فى آن واحد ..
ونحو هدف واحد ..
وبأقصى سرعتها ، انطلقت المركبة العجيبة ،
محاولة تفادى ذلك السيل من الصواريخ ، وهى تطلق
كراتها النارية نحو المقاتلات ..
وانفجرت إحدى مقاتلات السرب السابع ، وتحطم
جناح مقاتلة ثانية ، فهوت فى قلب الصحراء ،
وانطلق المقعد القاذف بقائدها خارجها ، فى نفس
الوقت الذى تقادت فيه المركبة العجيبة أقطار
الصواريخ ، فيما عدا صاروخاً واحداً ، انفجر على
قيد متر واحد منها ، مما جعلها تميل فى عنف ، قبل
أن تنطلق مرتفعة ، فى محاولة للفرار ..
وفى حزم وصرامة ، هتف قائد السرب :
- انطلقوا خلفها .. لا تسمحوا لها بالفرار .. تشكيل
ثلاثى منفصل ..
انقسم السرب إلى ثلاث فرق ، راحت تطارد
المركبة فى سرعة خارقة ، وانطلقت صواريخها مرة
أخرى ..

وفي هذه المرة ، تفجرت الصواريخ أكثر قرباً ..

وارتجت المركبة الفضائية في عنف ..

واختل توازنها لحظة ..

ومالت باتطلائتها إلى أسفل ..

ومن مدافعها الخلفية ، انطلقت كرات النار مرة

أخرى ..

وسقطت مقاتلة ثالثة ، من مقاتلات السرب

السابع ..

أما المقاتلات الأخرى ، فقد انفصلت فرقها الثلاث ،

إلى اليمين واليسار والمنتصف ، وانطلقت صواريخها

نحو المقاتلة العجيبة ..

وكان من الواضح أن تلك المركبة ، على الرغم من

قدراتها العجيبة ، لم تكن مؤهلة لمواجهة هجوم

عنيف كهذا ..

لقد تفجرت معظم الصواريخ حولها ، مع مناوراتها

القوية ..

ثم انفجر صاروخ فوق قممتها مباشرة ..

واختل توازنها في عنف ، حتى إنها راحت تدور

حول نفسها ..

وبسرعة تقدير تستحق الإعجاب ، هتف قائد

السرب :

- الصواريخ الإليكترومغناطيسية .. الآن ..

وبسرعة استجابة مذهشة ، نفذ رجاله الأمر ..

وأطلقوا الصواريخ الإليكترومغناطيسية نحو الهدف ..

ومع تفجر الصواريخ الحديثة ، حول المقاتلة

العجيبة ، ارتفعت مقاتلات السرب السابع في سرعة ،

وابتعدت بأقصى قوتها وطاقتها ..

ولوهلة ، لم تدرك أجهزة المقاتلة سر هذا الابتعاد

المباغت ..

ثم لم يعد بإمكانها أن تدرك شيئاً ..

أى شيء ..

هذا لأن تلك الصواريخ الإليكترومغناطيسية ، التي

تفجرت حولها ، قد أحاطتها بموجة قوية من المجال

الكهرومغناطيسى المؤقت ، على نحو أصاب كل

أجهزتها بخلل عنيف ، اختل معه توازنها ، فهوت

على نحو مخيف ..

ومع ارتطامها برمال الصحراء ، هتف قائد السرب ،

عبر جهاز الاتصال :

- سقط الهدف أيها القائد .

تلقى قائد القوات الجوية الهاتف في لهفة ، وهتف
بدوره :

- انتقلوا إلى مرحلة السيطرة على الفور .

أجابه قائد السرب :

- سمعاً وطاعة أيها القائد .

وعلى شاشة المراقبة ، شاهد قائد القوات الجوية ،
والقائد الأعلى ، والدكتور (جلال) ، طائرات السرب
السابع ، وهي تقوم بدورة كبيرة في سماء المعركة ،
ثم تنقض مرة أخرى على المركبة المجهولة ، التي
راحت تزحف بعنف على رمال الصحراء ، قبل أن
ترطم بكومة من الصخور ، وتتوقف في عنف ..

ومع ارتطامها ، عادت أجهزتها إلى العمل ،
وعادت ترصد انقضاضة مقاتلات السرب السابع ،
فأرسلت إشارة إلكترونية إلى نظامها الدفاعي ، الذي
استعد لتوجيه ضربة جديدة ، و ...

ولكن مقاتلات السرب السابع أطلقت سلاحاً جديداً ..
وعجيباً ..

لم تطلق الصواريخ ، أو مدافع الليزر ، أو حتى
القبائل الموجهة ..

لقد انطلق منها سيل من مسائل لرج ، غير مضخات
قوية ، ليغمر المركبة من كل جانب ..
ولوهلة ، لم تدرك الأجهزة المتطورة داخل المركبة
الموقف ..

إلا أنها راجعت أرشيفها بسرعة ..

وعثرت على تصنيف ذلك السلاح الجديد ..

كان مادة مغناطيسية عازلة ، مهمتها أن تعزل أي
جسم إليكتروني عن الوسط المحيط ، وأن تعترض
الذنبات الإلكترونية داخله ، و ...

وكان هذا آخر ما سجلته أجهزة المركبة المجهولة ..

ثم توقفت كلها دفعة واحدة ..

وعبر جهاز الاتصال ، هتف قائد السرب في
حماس :

- تمت السيطرة على الجسم المجهول .

هتف القائد الأعلى ، عندما سمع العبارة ، في
حجرة قائد القوات الجوية :

- رائع .. لقد فعلها أبطلك بحق .

ولكن قائد القوات الجوية أشار بسبابته ، قائلاً في
حزم :

- دعنا نتيقن من أن كل شيء على ما يُرام ، قبل أن نبدأ احتفالنا .

ثم ضغط زر جهاز الاتصال ، قائلاً :

- قوموا بثلاث دورات حول المركبة ، وتأكدوا من أن غلافنا قد أوقف كل أجهزتها عن العمل .

أتاه صوت قائد السرب ، يقول :

- عَظِيمٌ وسيُنفَّذ .

وتطبيقاتاً للأوامر ، راح نسور السرب المسايح يحومون حول المركبة ، التي أحاط بها غلاف أبيض اسفنجي ، وأخذ قائد السرب يقول :

- كل شيء يبدو على ما يُرام .. المركبة ثابتة ومستقرة ، وأجهزتنا لا تلتقط أية ذبذبات صادرة منها .. لقد قمنا بدورة كاملة ، وكل شيء على ما يُرام .. سنبدأ الدورة الثانية على الفور ، و ...

بتر عبارته بفتة ، على نحو ارتجفت له أطراف الدكتور (جلال) ، واتعد له حاجبا القائد الأعلى ، الذي تبادل نظرة عصبية متوترة ، مع هذا الأخير ، في حين هتف قائد القوات الجوية ، عبر جهاز الاتصال :

- ماذا حدث لديك يا (نسر - ٧) ؟

أتاه صوت قائد السرب ، وهو يجيب في توتر :

- رباه ! إنا نلتقط إشارات منتظمة أيها القائد ..

إشارات تبدو وكأنها تأتي من .. من ...

ازداد انعقاد حاجبي القائد الأعلى ، وهمهم الدكتور (جلال) بعبارة مختنقة غير مفهومة ، في حين هتف قائد القوات الجوية في توتر شديد ، عبر جهاز

الاتصال :

- من أين يا (نسر - ٧) ؟ من أين ؟

أجابه قائد السرب ، في عصبية واضحة :

- إنها تزداد قوة وقرباً .

هتف قائد القوات الجوية مرة ثالثة :

- من أين تأتي تلك الإشارات يا (س - ٧) .. من أين ؟

بدا صوت قائد السرب شديد التوتر والاضطراب ، وهو يجيب :

- من أعلى .

ومع آخر حروف كلمته ، نقلت أجهزة الاتصال دوى لتفجار قوي ..

ثم توقف البث دفعة واحدة ..

ولم ينطق أى من الرجال الثلاثة كلمة واحدة ، أو
ينبس بحرف واحد ..

ولكن عيون ثلاثتهم التقت بنظرة عجيبة ..

نظرة حملت كل ذعر وتوتر ودهشة الدنيا ..

أو ما هو أكثر ..

بكثير .

★ ★ ★



٤ - الكل للواحد ..

« كل ما عثرنا عليه هو حارس صريع .. » .

ألقى رئيس طاقم الأمن العبارة فى حلق ، ولوح
بنراعيه ، مستطرذا فى عصبية :

- ذلك الشخص اختفى تمامًا ، وكأنما تلاشى فى

الهواء ، ولم يعد له أدنى أثر .. لقد فحصنا كل شبر
فى المكان ، ولم نعثر له على أدنى أثر .

أجابته رئيس القسم ، فى شيء من الحزم :

- لقد ترك أثرًا هنا .

سأله قائد الأمن فى اهتمام :

- وما هو ؟!

أشار رئيس القسم إلى قطرات الدم ، التى تساقطت

على وجهه (أكرم) وفراشه ، وهو يجيب :

- ها هو ذا .

هتفت (نشوى) :

- آه .. بماؤه .. إنها أهم أثر يمكن أن نحظى به .

احتضنت (مشيرة) يد (أكرم) في قوة ، تشف عن كل توترها ، وخوفها ، ولهفتها ، وجزعها ، وهي تقول :

- لقد حاول قتل زوجي .. حاول قتل (أكرم) ..
ربّيت (نشوى) على كتفها ، قائلة في تعاطف :
- وصولك غير القانوني أنقذ حياته يا عزيزتي .
أغمضت (مشيرة) عينيها ، وهي تتمتم :
- حمداً لله .. حمداً لله .

واحتضنت كف (أكرم) في حنان ، متسائلة في لهفة :

- كيف حاله ؟ متى سيعود إلى وعيه ، ويشعر بوجودي ؟

تطلع رئيس القسم إلى إشارات المخ ، التي تذبذبت على نحو واضح ، وهو يجيب في تأثر :

- إنه يشعر بالفعل يا سيدي .
هفتت (مشيرة) :

- حقاً ؟
ثم طبعت قبلة حانية على يد زوجها ، مستطردة :
- عد إلي يا حبيبي .. لم أعد أحتمل غيابك هذا .

ربّيت (نشوى) على ظهرها مرة أخرى ، في حين أشاح رئيس القسم بوجهه ، في محاولة لإخفاء تأثره ، وهو يقول للأطباء في حزم :

- هيا .. تحركوا بسرعة .. احصلوا على عينة الدم هذه .. أريد فحصها بأقصى سرعة ، والفضل وسيلة ممكنة .

تدخل الدكتور (حجازي) ، قائلاً في حزم :

- دع لي هذه المهمة أيها الطبيب ؛ فلنا شغوف بمعرفة الفصيلة ، التي ستنتهي لها دماء هذا الغريب .
غمغم أحد الأطباء في توتر :

- هل تتصور أنني قد شعرت بالدهشة ، لأن لونها أحمر كدمائنا .

سأله الدكتور (حجازي) :

- ولماذا الدهشة ؟
صمت الطبيب لحظة ، ثم لم يلبث أن هز كتفيه ، مجيباً :

- لست أدرى .. ربما كنت أتصور دائماً أن دماء المخلوقات الفضائية ستكون خضراء أو زرقاء ، أو ...
هتف أحد رجال الأمن في دهشة مستنكرة :

- مخلوقات فضائية ؟! ذلك الشخص بدا لى بشرياً
مثلاً !

قالت (نشوى) فى توتر :

- هذا ما بدا لى أيضاً .

هز الطبيب رأسه فى عصبية ، قائلاً :

- هل نسيتم أنه ينتمى لذلك المخلوق ، الذى أشار

كل الرعب ؟!

أشار الدكتور (حجازى) بسببته ، وهو يقول :

- هل نسيتم أنت أن ذلك المخلوق كان مجرد

تكوين آلى ؟!

مط الطبيب شفثيه ، وتمتم :

- كلا .. لم أنس ، ولكن كل شيء يبدو مضطرباً

مشوشاً ، ويحتاج إلى ألف تفسير لتوضيحه .

قالت (نشوى) فى حزم :

- وهذا يعنى ضرورة أن أعود إلى عملى الأصلى .

ثم اعتذرت ، مستطردة :

- مع بعض التطوير .

سألها رئيس القسم فى اهتمام :

- أى تطوير ؟!

أجابته ، وهى تشير إلى جهاز رسم إشارات المخ ،
المتصل برأس (أكرم) :

- لن أكتفى بنقل وترجمة إشارات مخ أبى فحسب ،

ولما سأوصل أجهزة رسم المخ ، الخاصة بالتجميع ،

بجهاز الكمبيوتر الخاص بى ، عبر أربع قنوات

مختلفة .

ثم تنهدت فى حيرة ، قبل أن تستطرد :

- إننى أرغب فى عقد اجتماع عاجل للفريق .

بدت كلماتها عجيبة مثيرة ، فى مثل هذه الظروف ،

حتى إن أحداً من الحاضرين لم ينبس ببنت شفة ،

وقد غرقوا جميعاً فى صمت مهيب ، قطعته الدكتور

(حجازى) ، وهو يتمتم :

- معذرة أيها السادة .. أستاذكم فى الانصراف ..

إننى أرغب فى فحص عينة الدم على وجه السرعة ،

وسأضطر لاستخدام أدواتى الخاصة ، بعد أن تحطمت

معاملكم ، وهذا يحتاج إلى وقت أطول .

اعتذرت (نشوى) فى حزم ، وهى تشير إليه ،

قائلة :

- لحظة يا دكتور (حجازى) .

ثم استدارت إلى رئيس طاقم الأمن ، مستطردة
بلهجة أمرة :

- ذلك الشخص ، أيًا كانت هويته ، يدرك جيدًا أن
الدماء التي تركها خلفه ستفيدنا ، على نحو أو آخر ،
وهذا يرجح أنه سيحاول منع عملية فحصها بأي ثمن ،
لذا فسيكون عليك والرجال أن تحيطوا الدكتور
(حجازي) بحراسة مكثفة ، وأن تعملوا على حمايته ،
وحماية نتائج فحصه ، بأي ثمن كان .. استخدموا
أجهزة رصد صوتية وحرارية ، ومقياس للذبذبة ،
واحتفظوا بالمكان ، الذي سيجري فيه الدكتور
(حجازي) فحصه سرًا .. هذا الأمر يتعلق بأمن
الدولة ، وربما بمصير الأرض كلها ، لذا فلا تترددوا
في التضحية بحياتكم أنفسها ، في سبيل منع أي عدو ،
من إفشال عمل الدكتور (حجازي) هذه المرة .

كانت تتحدث بأسلوب قيادي محض ، اهتزت له
أوتار مشاعر الجميع ، وجعل الدكتور (حجازي)
يغمغم :

- لقد أنجبت يا (نور) .. حقًا أنجبت .

ثم أشار إلى قائد الأمن ، قائلاً :

- هيا يا رجل .. لدينا عمل مهم لننجزه .

واتدفع مع طاقم من رجال الأمن خارج المكان ،
في حين التفتت (نشوى) نفسها عميقًا ، للسيطرة
على مشاعرها ، قبل أن تنتفت إلى الباقيين ، قائلة :

- نحن أيضًا لدينا عمل لننجزه .

قالتها بنفس الحزم واللهجة القليدية ..

ولكن الواقع أن هذا كان يخفى توترًا واضطرابًا
عنيفين في أعماقها ..

ربما لأنها ما زالت تجهل ما الذي يمكن أن يقود
إليه كل هذا !؟

وكيف يمكن أن تواجه الخطوات القادمة !؟

ومتى !؟

تصاعدت تلك الذبذبة ، القادمة من أعلى ، وتزايدت
بسرعة مخيفة ، معلنة اقتراب جسم مجهول ، من
مقاتلات السرب السابع ، التي راحت أجهزتها تعمل
بأقصى قوتها وسرعتها ، محاولة رصد وكشف ذلك
الجسم المجهول ، إلا أن كل الأجهزة لم تعلن عن
رصد شيء ما ، على الرغم من تزايد الذبذبة أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم فجأة ، ظهر ذلك الجسم ..

والنقطته كل الأجهزة فى آن واحد ..

وأدرك الجميع ، فى لحظة واحدة ، لماذا لم يتم

رصده من قبل !

لقد كان جسمًا صغيرًا للغاية ، فى حجم برتقالة

عادية ، برز بغة وسط طائرات السرب ، ثم انفجر ..

ودوى الانفجار وسط مقاتلات السرب ، التى

توقفت أجهزتها الإلكترونية كلها دفعة واحدة ،

وانقطعت كل الاتصالات منها وإليها ، واختل توازنها ،

وراحت تهوى على نحو مخيف ، نحو رمال الصحراء ..

كان من الواضح أن ذلك الشيء الصغير ، هو

قذيفة إلكترومغناطيسية ، أكثر تطورًا من تلك

الصواريخ ، التى أطلقوها نحو المركبة المجهولة ..

لقد فقدوا السيطرة على كل الأجهزة الإلكترونية

فى مقاتلاتهم دفعة واحدة ..

وراح السرب كله يهوى ..

ويهوى ..

ويهوى ..

وكان من الطبيعى أن ينتهى هذا السقوط بالارتطام

برمال الصحراء ..

والانفجار ..

وفناء السرب السابع ..

عن آخره ..

ولكن ..

وكل تصارييف القدر تتبع كلمة (لكن) هذه ..

فمن حسن الحظ ، ودقة التقدير ، وبراعة القيادة ،

ورحمة الله (سبحانه وتعالى) ، أن مقاتلى السرب

السابع ، باعتبارهم أفضل نسور القوات الجوية

المصرية ، قد تدربوا على التصرف ، فى حالة

تعرضهم لخلل إلكترومغناطيسى ..

وكانت طائراتهم مزودة بالقدر على القيادة

اليدوية ، فى حالات الطوارئ القصوى ..

تمامًا مثل قيادة الطائرات الشراعية ، التى لا تحوى

أية محركات ..

ولم يكن الأمر بحاجة حتى إلى أوامر مباشرة ..

أو حتى غير مباشرة ..

ففى آن واحد تقريباً ، سيطر كل مقاتل على طائرته ، وألقى كل الاتصالات الإلكترونية داخلها ، وراح يتعامل معها باعتبارها مجرد طائرة شراعية عادية ، على الرغم من ثقلها ، ودرجة تسليحها العالية ..

واعتمدت الطائرات فوق رمال الصحراء ..

وراحت تهبط على نحو منتظم ..

لم يكن الهبوط سهلاً أو هيناً ..

لقد ارتطمت المقاتلات برمال الصحراء ، وراحت تزحف فوقها لعدة أمتار ..

بعضها ارتطم بصخور الصحراء ..

وبعضها اختل توازنه ، مع الهبوط على الرمال ، فمال أحد جناحيه ، وارتطم بالتهاب ، وتحطم فى عنف ..

والبعض الأخير نجا بأعجوبة ..

ومن هذه الفئة الأخيرة ، كان قائد السرب ، الذى راح يضغط أزرار جهاز الاتصال الدخلى فى توتر ، هاتفا :

- هل هبط الجميع بخير ؟! هل يسمعون أحدكم ؟!

ولما لم يلقى جواباً ، استخدم ذراع الإراحة اليدوى ، ليدفع قمة كابينة القيادة إلى الخلف ، ووثب خارجها ، وهو يهتف بأقصى قوته :

- هل الجميع بخير ؟!

أتاه صوت أحد رجاله ، يهتف :

- رقم (١٠٠٤) بخير .

ثم تلاه صوت يقول :

- رقم (١٠٠٧) بخير .

وتوالى الهاتفات ، لتعلن أن الجميع بخير ، مما عدا تسر واحد ، أصيب بكسر فى ذراعه ، مع عنف الهبوط ..

وبسرعة ، راح المقاتلون يعاونون زميلهم المصاب ، فى حين التفت بعض منهم حول قائدهم ، وسأله أحدهم فى توتر :

- ترى ما هذا الشيء أيها القائد ؟!

لوح القائد بيده ، قائلاً :

- إنها قبلة كهرومغناطيسية فائقة القوة ، تتبع تلك المركبة المجهولة جتاً .. نوع من الحراسة الاحتياطية ، التى تتدخل لإتلاف معدات الهجوم ، إذا ما تعرضت المركبة الأولى للخطر .

رفع أحدهم رأسه إلى أعلى ، مغمضاً في توتر :
- ومن أدرانا أنه لا توجد حراسات احتياطية
أخرى !!

هز القائد كتفيه ، وألقى نظرة بدوره إلى السماء ،
مجيباً :

- لا أحد يمكنه الجزم .

ثم تلقت حوله متوتراً ، وهو يضيف :

- ثم إنه لا فارق ، في وضعنا الحالي .. لقد انقطعت
كل وسائل الاتصال ، واضطررنا للهبوط في قلب
الصحراء ، و ...

بتر عبارته بقعة ، عندما هتف أحد رجاله ، مشيراً
إلى المركبة ، المحاطة بتلك المادة الرغوية الكثيفة :
- رباه !! انظر أيها القائد .

استدار الجميع إلى حيث يشير ، وقفزت دهشتهم
إلى ذروتها ..

فعلى الرغم من الغلاف الرغوى الكثيف ، ومن
الصواريخ الإلكترونية ومغناطيسية ، التي يفترض أن
تصيب كل أجهزتها بخلل عنيف ، كانت تلك المركبة



استدار الجميع إلى حيث يشير ، وقفزت دهشتهم إلى ذروتها ..

المجهولة تتألق بوهج أزرق عجيب ، وترتفع عن
رمال الصحراء فى بضع مثير ..
ومخيف .

* * *

ران صمت مهيب على حجرة (نور) ، فى
المستشفى العسكرى ، وتعلقت العيون كلها بأصابع
(نشوى) ، وهى تنتقل على أزرار الكمبيوتر فى
سرعة ، قبل أن تضغط زراً أخيراً ، ثم تتراجع لتلقى
نظرة نهائية على برنامجها المركب ، وتغمغم :
- أتعلم أن يكون كل شيء على ما يرام .

لم يطق أحد بحرف واحد على عبارتها ، وإنما
أشرأبت أعناقهم ، للتطلع أكثر وأكثر إلى شاشة
الكمبيوتر ، التى انقسمت إلى أربع خانات ، تحمل كل
منها صورة أحد أفراد الفريق ، الذى يرقد فى حالة
الشلل الكامل ، فى حين امتدت من الكمبيوتر نفسه
حزمة من الأسلاك ، اتصلت بجهاز خاص ، ينقل
إشارات أجهزة رسم المخ إليه ، ويقوم بترجمتها ،
عبر البرنامج الخاص ، إلى لغة معروفة ، تتحول
بفعل برنامج آخر بسيط إلى صوت مسموع ، يختلف
من حالة إلى أخرى ..

بإختصار ، كان ذلك البرنامج قادراً ، على تحويل
ما يدور فى أذهان أفراد الفريق ، إلى أصوات
واتفاعلات واضحة ، على الرغم من رقنهم المسكنة
الصامتة ، وعجزهم التام عن السيطرة على حواسهم ..
وبأصابع مرتجفة ، أمسكت (نشوى) بوق
الكمبيوتر ، وضغطت أحد الأزرار ، قائلة :
- أبى .. طبقاً لحساباتى ، المفترض أن تسمعنى ،
وأن تستوعب كل ما أقول الآن ، بمنتهى الدقة
والوضوح ، فهل هذا صحيح ؟!

أنهت عبارتها ، واحتبست أنفاسها ، وتضاعف
الصمت أكثر وأكثر ، حتى بدا وكأنه أقل همسة ،
ستدو فى هذه الحجرة أشبه بدوى الطبول ..
وانقسمت عيون الجميع وأفكارهم إلى قسمين
متساويين ..

قسم بصرى ، ينتقل فى سرعة وتوتر ، بين شاشة
رسم المخ الإلكتروني ، وشاشة كمبيوتر (نشوى) ..
وقسم سمعى ، أدهف بالكامل ، فى انتظار رد فعل
(نور) ، الذى سيحوكه برنامج الكمبيوتر إلى صوت
مسموع ، و ...

« أحسنت يا (نشوى) .. » ..

اتبعت الصوت من مسماع الكمبيوتر ، فسرت ارتجافاً في أجساد الجميع ، فى حين انتفض جسد (نشوى) فى عنف ، وهى تهتف :

- يا إلهى ! لقد نجحت .. يا إلهى !

وتفجرت الدموع غزيرة من عينيها ، غير مصنقة أن فكرتها قد تكللت بالنجاح ، فاتبعت صوت (نور) من الكمبيوتر مرة أخرى ، وهو يقول :

- فكرتك عبقرية .. لم يكن من الممكن أن يفعل الفريق كله ما هو أفضل ، لو أنه فى موضعك .. لقد تفوقت علينا جميعاً .

كانت دموعها تغرق عينيها ، وسط انبهار الجميع ، وهى تقول :

- المهم أنتى نجحت يا أبى .. حمداً لله .. حمداً لله ..

هتف رئيس القسم فى حماس :

- نجحت !؟ بل حققت معجزة يا بنيتى .. معجزة

على أى مقياس طبي وعلمي .

كان جهازها ينقل كل الأصوات فى الحجرة إلى حجرات العناية الخاصة الأخرى ، التى يرقد فيها

(رمزى) و (أكرم) و (سلوى) ، عبر أجهزة اتصال خاصة ، لذا فقد اتبعت صوت (سلوى) ، وهى تقول :

- إنها ابنتى .

هتف طبيب آخر فى حماس منقطع النظير :

- وخير من أنجبت يا سيديتى .

اتبعت صوت (أكرم) ، قائلاً :

- أشكرك يا (نشوى) .. أخيراً لم أعد أشعر بذلك العجز المسخيف ، الذى كاد يقتلنى .. كيف حال (مشيرة) !؟

أجابته من وسط دموعها :

- لقد أعدوها إلى منزلها يا (أكرم) .. هذا أفضل لها ، فى الوقت الحالى .

أتاها صوت (رمزى) ، وهو يسأل :

- وكيف حال (محمود) الصغير !؟

أجابته (نشوى) ، وهى تسمح دموعها فى تأثر :
- هذا سبب آخر لعودة (مشيرة) إلى منزلها يا (رمزى) ؛ فهى تتولى العناية به ، حتى أنتهى من مهمتى .

قال (رمزى) ، عبر جهاز الاتصال الخاص جداً :

- إبنى أشعر بالفخر لما فعلت يا عزيزتى .

اتبع صوت (نور) ، يقول :

- كلنا نشعر بالفخر لما فعلته (نشوى) يا (رمزى) ،

ونكن علينا أن نؤجل كل هذه المشاعر لما بعد ، فلن

يمكننا التعبير عنها فى وضوح الآن .. المهم أن

نتأزر ؛ لحل لغز ذلك الفضالى المزعوم .

سألته (نشوى) فى دهشة :

- ولماذا تصفه بالمزعوم يا أبى ؟!

صعقت الأصوات الإلكترونية بضع لحظات ، قبل

أن ينبعث صوت (نور) مرة أخرى ، وهو يقول :

- هذا اجتماع خاص بالفريق ، والأفضل أن يتم

بصورة مغلقة كالمعتاد .

بدا الحرج على الأطباء ، ولكن رئيس القسم قال

فى صرامة :

- هيا .. سنتركهم لعملهم ، ونعود نحن لعملنا .

لم تمض دقائق ، حتى خلت الحجرة تماماً ،

وأعلنت (نشوى) ذلك ، عبر جهاز الاتصال الخاص ،

فقال (نور) ، بذلك الصوت الخالى من الانفعالات ،

الذى يصنعه برنامج الكمبيوتر المتطور :

- الآن أريد معرفة كل ما حدث ، منذ سقطت فى
حالة الشلل السخيفة هذه ، وبأدق التفاصيل .

غمغت (نشوى) :

- كنت أتوقع هذا .

ثم راحت تروى له كل ما حدث ..

وبأدق التفاصيل ..

واستمع إليها فى اهتمام بالغ ، قبل أن يسأل

(نور) :

- وماذا عن الأحداث الأخرى ؟!

سألت (نشوى) فى حيرة :

- أية أحداث أخرى ؟!

أجابها :

- ماذا عما يعلمه القائد الأعلى والدكتور (جلال) ،

حتى لحظتنا هذه ؟!

أومأت برأسها متفهمة ، وقالت ، وهى تضغط

أزرار الكمبيوتر :

- سأوصلك بالقناة السرية الخاصة ، لننتقل إليك

كافة التفاصيل ، لحظة ف لحظة .

استغرق عقل (نور) فى متابعة التفاصيل ، فى

حين قالت (سلوى) :

- منذ سقطت في حالة الشلل هذه ، وأنا ألقى على نفسي سؤالاً واحداً .. كيف طاردتني تلك الكرة على هذا النحو ؟! ولأن جسدي كان مسترخياً تماماً ، رحت أراجع كل معلومتي عن التوصيل والتتبع ، ولم أجد سوى تفسير واحد ، قد يفتقر إلى المنطقية بعض الشيء ، ولكن له أسس علمية .

أتأها صوت (نور) ، وهو يقول :
- أهي عملية تتبّع البصمة الجينية ؟!
قالت (سلوى) :

- بالضبط .. لقد شاركت مع بعض علماء البيولوجيا ، في بعض التجارب الأولية لشيء مشابه يا (نور) .. قذيفة تتبّع البصمة الجينية لنوع خاص .. الأسود مثلاً أو التماسيح ، واعتقد أنه يمكن تطوير مثل هذه القذيفة في المستقبل ، لتعقب بصمة جينية بعينها .
قال (نور) :

- بالضبط .. كل شيء يمكن التوصل إليه في المستقبل .

تساءل (أكرم) :

- حتى ذلك الآلى ، الذي يعتمد على خلايا حية ؟!
أجاب (نور) :

- حتى ذلك يا (أكرم) .. هناك تجارب بالفعل في هذا الشأن ، ولكنها لم تكمل بالنجاح بعد ، ويطلق عليها اسم مشروع (سيبورج) (*) .

قال (أكرم) :

- إذن فعدونا أت من كوعب يفوقنا تقدماً بالفعل يا (نور) .

فقال (نور) :

- ربما يثبت فحص عينة دمه أمراً آخر .

تدخل (رمزي) ، قائلاً :

- أي أمر يا (نور) ؟! إنها محاولة غزو فضائية ولا شك .. هل نسيت العنصرين المجهولين ، في تلك المادة الكيميائية ، التي فعلت بنا كل هذا ؟!
قالت (نشوى) في دهشة :

- وكيف علمت بأمر العنصرين المجهولين ؟! إنك أو ضحية لتلك المادة يا (رمزي) ؟!

عليها في سرعة :

أنسيت أنني كنت أستمع إلى أحاديثكم طوال الوقت ؟!

(*) حقيقة .

ضعفت :

- آه .. كيف نسيت هذا ؟!

نساءل (نور) :

- وماذا عن عملية فحص بقايا الآلى ؟! هل أسفرت

عن شيء ؟!

أجابته فى ضيق :

- لمست أحدى .. لقد استولى الرائد (أيمن) وفريقه

على كل بقايا الآلى .

قال :

- فيما عدا قطعة واحدة .

سألته فى لهفة :

- وأين هى ؟!

أجاب فى سرعة :

- فى جيبى .

أسرعت إلى سترته ، المعلقة فى دولاى الحجره ،

وراحت تفتش جيوبها فى سرعة ، حتى التقطت

الدائرة الإلكترونية الصغيرة ، فهتلقت :

- أهى تلك الدائرة الصغيرة ؟!

أجاب :

- بالضبط .. هل يمكنك فحصها ؟!

التقطت عدسة مكبرة كبيرة من حقيبتها ، قائلة :

- بالطبع .

وضعت الدائرة الإلكترونية تحت العدسة الكبيرة ،

وراحت تفحصها باهتمام بالغ ، قبل أن تقول فى

حيرة :

- عجباً ! إنها تشبه الدوائر التى نصنعها هنا ،

ولكنها أكثر دقة وتطوراً إلى حد كبير .

سألها (نور) :

- هل ترين أية كلمات عليها ؟!

عادت تفحص الدائرة بدقة أكثر ، قبل أن تقول :

- نعم .. هناك كلمات فى طرفها ، ولكنها صغيرة

ودقيقة للغاية .

سألها (نور) :

- هل يمكنك تكبيرها أكثر ؟!

أجابته ، وهى تضغط بضعة أزرار ، فى طرف

العدسة ، فتضاعفت قوة تكبيرها مرة ، وأخرى ،

وثالثة ..

ومع كل مرة ، كانت تلك الكلمات الدقيقة تتضح

أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومع وضوحها ، شهقت (نشوى) ، هاتفة :

- رباه ! إنها حروف عربية واضحة .

قال (أكرم) :

- عربية ؟

وقالت (ملوى) :

- أعتقد أنه باستطاعتي استنتاجها .

أما (رمزى) ، فقال :

- أخشى أن ..

قبل أن يتم الكمبيوتر عملية تحويل إشارات مخه

إلى كلمات مسموعة بصوته ، اتحم الدكتور (حجازى)

الحجرة ، هاتفا :

- (نشوى) .. لن يمكنك أن تتخيلى نتيجة فحص

عينة دم الغريب .

فوجيء بصوت (نور) ، يقول :

- مرحباً يا دكتور (حجازى) .. أعتقد أننا

استطيع استنتاج ما لديك .

هتف الدكتور (حجازى) فى الفعل :

- رباه ! لقد فعلتها إذن يا (نشوى) ! فعلها

برنامجك العبقري !

سألته (نشوى) فى توتر :

- ما الذى أسفر عنه فحص عينة الدم يا دكتور

(حجازى) ؟

قبل أن تنفجر شفتا الطبيب الشرعى ، أجاب (نور) ،

بذلك الصوت الألى الرتيب ، الخالى من أية تفاعلات :

- إنها ليست عينة دماء غير عادية .

هتف الدكتور (حجازى) :

- يا إلهى ! بالضبط يا (نور) .. إنها عينة دم

بشرية ، من فصيلة (أ) موجبة .

قالت (نشوى) فى دهشة بالغة :

- مستحيل ! هل يمكن أن يحمل سكان الكواكب

الأخرى نفس فصائل دماننا .

أجابها (رمزى) :

- ألم تستوعب الأمر بعد يا (نشوى) .. حديث

القائد واضح للغاية .

واتبع صوت (أكرم) ، يكمل :

- خصمنا ليس فضائياً مجهولاً .

وأكملت (سلوى) :

- إنه بشرى .. مجرد بشرى عادى .

اتسعت عينا (نشوى) فى زعر زاهل ، وهى

تهتف :

- مستحيل ! هذا مستحيل تمامًا .. لو أنه مجرد

بشرى ، فكيف يمكن تفسير الأسلحة المتقدمة ،

والآلى ذى الخلايا الحية ، والعنصرين المجهولين ،

والمادة الغامضة ، و ...

قاطعها (نور) ، قائلاً :

- لكل هذا تفسير آخر يا (نشوى) .

سألته ، بكل توتر الدنيا :

- وما هو ؟

وبالصوت الآلى ، الخالى من الانفعالات ، ألقى

(نور) تفسيره ..

واتسعت عيون الدكتور (حجازى) و (نشوى)

عن آخرهما ..

فقد كان التفسير مدهشًا وعجيبًا !!

للغاية .

★ ★ ★

٥- القلـد ..

تراجع نمور السرب السابيع فى حذر ، أمام مشهد

المركبة ، التى تألفت بذلك الضوء الأثرق ، وارتفعت

عن الأرض فى بطء شديد ، وانتزع كل منهم مسدسه

الليزرى فى تحفز ، وأحدهم يتساعل فى النزاع :

- ماذا يحدث أيها القائد ؟

أجابته قائد السرب ، وهو يصوب مسدسه الليزرى

إلى المركبة ، وكأنما يتوقع إسقاطها بأشعته :

- من الواضح أن تلك القنبلة ، التى أوقفت أجهزتنا

الإلكترونية ، كان لها تأثير معاكس ، على أجهزة

هذه المركبة العجيبة .. لقد أعادتها إلى العمل ، على

نحو أو آخر .

قال رجل آخر فى عصبية :

- أ .. أليس من المفترض أن تعزلها المادة الرغوية

عن أية تأثيرات إلكترونية خارجية ؟

هز قائد السرب كتفيه فى حيرة ، وهو يجيب :

- بلى .. من المفترض هذا ، ولكن ..

قبل أن يتم عبارته ، دارت المركبة حول محورها
فى ببطء ، لتواجه نسور السرب المسابع بمقدمتها ،
فهمت أحدهم ، وهو يصوب إليها مسدسه الليزرى
بدوره :

- رباح !.. إنها تستعد لإطلاق أسلحتها علينا .
انعدد حاجبا قائد السرب ، وراح عقله يدرس
الموقف فى سرعة ..
حركة المركبة توحى بأنها تمتعد لاقتناصهم
بالفعل ..

والصحراء أمامهم ممتدة إلى ما لانهاية ..
ولا يوجد ما يمكن الاحتماء به .
سوى مقاتلاتهم ..

وانفجار المقاتلة أكثر عنفاً فى كرات النار العادية ..
وهذا يعنى أنه لا مفر من الموت ..
« أيها النسور .. » .

انطلقت صيحته حاسمة حازمة ، وهو يصوب
مسدسه إلى المركبة فى إحكام ، متابعاً بلهجة قوية :
- فليكن ثمن دماءكم غالياً .

فهم الجميع ما يعنيه ، فارتفعت مسدساتهم
الليزرية فى وجه المركبة ..

وأطلقت من العيون نظرة حازمة ، حاسمة ..
كل العيون ..

وأكملت المركبة استدارتها ..
وأصبحت تواجههم تماماً ..
« الآن أيها النسور .. » .

انطلقت صيحة قائد السرب هذه المرة قوية هادرة ..
وانطلقت معها مسدسات النسور ..
وهوت على المركبة كالسيل ..
أو أشد قوة ..

وتفجّر جزء من الغلاف الرغوى ، فى مقدمة
المركبة ..

وانطلقت عبره كرة من النار ، أصابت أحد النسور ،
وتفجّرت فى صدره ، وانتزعت من مكانه فى عنف ،
لتلقى به على مسافة خمسة أمتار ، فوق رمال
الصحراء ..

وانطلقت أشعة النسور ثمانية ..
ولجأت المركبة بكرة نارية ثمانية ..
وضحية جديدة ..

وعلى الرغم من هول الموقف ، لم يتراجع أحد
النسور خطوة واحدة ..

لقد انطلقت أشعة مسدساتهم الليزرية بلا توقف ..

وبلا هوادة ..

وعلى الرغم من شعورهم بأنه ليس هناك أمل من
المقاومة ..

أننى أمل ..

ولكن فجأة ، ظهرت الحوامات الحربية فى سماء
المعركة ..

ودون مقدمات ، انقضت على المركبة الغريبة ..

وما إن لمح قائد السرب السابع تلك الشبكة المعدنية ،
التي تمتد أطرافها إلى الحوامات ، حتى هتف برجاله :
- تراجعوا .. بأقصى سرعة ..

وانطلق الرجال يعدون مبتعدين ..

وتوقفت المركبة عن إطلاق كراتها النارية ..

وتحركت أجهزتها ؛ لترصد تلك الحوامات الحربية ..
وفى نفس اللحظة ، أسقطت الحوامات شبكتها
المعدنية ..

وفى لحظة واحدة ، كانت تلك الشبكة المعدنية
تحيط بالمركبة العجيبة ..

ثم تفجرت داخلها صواعق عجيبة ..

عشرات الصواعق ، انتقلت من نقطة إلى أخرى ،
عبر الشبكة المعدنية ..

وانتفضت المركبة العجيبة ..

وانتفضت ..

وانتفضت ..

ثم توقفت تمامًا ..

وعندئذ ..

عندئذ فقط ، هبطت الحوامات ، وسط نسور
السرب السابع ..

أما المركبة العجيبة ، فقد سكنت حركتها تمامًا ،
معلقة هزيمتها الفادحة هذه المرة ..

دون أننى شك ..

* * *

« من المستقبل ١٩ .. » .

هتفت (نشوى) بالعبرة فى ذهول ، مرددة ما ذكره
والدها ، عبر إشارات مخه ، التى يترجمها برنامجها
الخاص ، وحدقت فى شاشة الكمبيوتر لحظات فى
ذهول ، قبل أن تستطرد فى عصبية :

- تفسير أكثر غرابة يا ألبى .. إننى قد أصدق كونه مخلوقاً فضائياً، فسيكون لديه عندئذ ما يبرر أفعاله . أما كونه من المستقبل ، فهذا يجعل الأمور أكثر غرابة وتعقيداً !

انبعث من الكمبيوتر صوت (سلوى) ، وهى تقول :
- على العكس يا (نشوى) .. هذا التفسير يجعل الأمور كلها أكثر منطقية ، على الرغم من غرابته ؛ فكل ما يستخدمه ذلك الشخص هو تطوير لأشياء تحققها معاملنا بالفعل ، ولو اصلنا تطوير هذه الأشياء لعشرة أعوام أخرى ، فربما صارت أفضل مما لديه بالفعل .. فذائف تعقب البصمات الجينية ، وكرات البلور النقى ، المليئة بكيمائيات الأعصاب ، وحتى الأغلفة الكهرومغناطيسية الخفية .. صدقنى يا بنيتى ، ما قاله والدك يبدو أكثر منطقية بالفعل ..

غمغم الدكتور (حجازى) مبهوراً :

- وماذا عن ذلك الآلى ، صاحب القدرة على التحور الجينى ، الذى يجمع بين الإليكترونيات والخلايا الحية ؟

أجابته (رمزى) :

- تطوير آخر لمشروع حالى ، لم يحقق نجاحاً بعد .. مشروع (سيبورج) .

قالت (نشوى) فى توتر :

- والعنصران المجهولان !؟

كان (نور) هو صاحب الجواب هذه المرة ، وهو يقول :

- كانت هذه النقطة التى تثير حيرتى منذ البداية .. العنصران المجهولان !! كنت أَسْأَلُ : كيف يمكن أن يحصل مخلوق أرضى مستقبلى على مادة كيميائية ، تحوى عنصرين مجهولين !؟

غمغمت (نشوى) فى توتر :

- ما زلت ألقى السؤال ذاته على نفسى .

أجابها (نور) :

- الجواب أيضاً هو المستقبل يا (نشوى) .. للمستقبل وحده يمكن أن يكشف عناصر جديدة ، ما زالت مجهولة فى حاضرتنا .. الرحلات الفضائية ، والكشف الكونية ، والتحاليل الجيولوجية للصخور والنيازك ، التى تتساقط على الأرض والقمر ، ستكشف حتماً بعض العناصر المجهولة ، مع تقدّم أجهزة الفحص ، وطرق التحليل ..

قال الدكتور (حجازى) :

- ليس بالضرورة .

قال (نور) فى سرعة :

- وليس هناك ما يمنع أيضا .

صمت الدكتور (حجازى) وبدأ عليه علامات التفكير

العصيق لبضع لحظات ، ثم سأل (نشوى) فجأة :

- ما الكتابات العربية ، التى وجدتها ، على تلك

الدائرة الإلكترونية الدقيقة .

صمتت (نشوى) لحظة ، قبل أن تلوح بالدائرة

الدقيقة ، مجيبة :

- صنع فى (مصر) .

ارتفع حاجباه إلى أقصاهما ، حتى ارتطما بمنابت

شعر رأسه ، واتسعت عيناه الضيقتان ، حتى بان

لونهما الأخضر فى وضوح ، وهو يحدث فىها ، قبل

أن يعود حاجباه إلى الاعتقاد ، فتختفى فزحيته خلف

أجفانه المتقاربة ، ويلوذ بالصمت بضع لحظات ، ثم

يقول فى عصبية :

- ربما .. ربما كنت على حق يا (نور) .

قالها ، والدفع بغادر الحجرة فى شيء من الحدة ،

جعل (نشوى) تتساعل فى حيرة :

- ماذا به ؟!

أجابها زوجها (رمزى) :

- إنه يشعر بالتوتر والاضطراب ، ولا يمكنه استيعاب

استنتاج (نور) ، وهذا يجعله شديد العصبية ، ويدفعه

إلى الفرار من الموقف كله .

غضمت (نشوى) :

- هذا يجعلنا اثنين ؛ فلنا أيضا أعجز عن استيعاب

الأمر هذه المرة ..

لا يمكننى أن أتصور أن يعود شخص ما من

المستقبل ، بهدف تدميرنا فحسب ، خاصة وأنه هناك

أمور أخرى ، لا تتفق مع هذا .

سألها (نور) :

- مثل ماذا ؟!

قالت فى عصبية :

كل ما حصلنا عليه ، من شبكة المعلومات السرية

للإدارة .. أمر تلك المركبة المجهولة ، والإشارات

الفضائية المنعكسة .. « كل شيء على ما يرام ..

نحن فى انتظاركم .. » .. هذا يرجح ، من وجهة

نظرى ، فكرة غزاة الفضاء .

أجابها (نور) :

- بالضبط ، وهذا هو الغرض الرئيسى لوجود المركبة وإطلاق الإشارة الفضائية .. إرباك الخصم .. وضع الأمور فى شكل يوحى بعملية الغزو الفضائى هذه .. ولو راجعت كل الأمور ، ستجدين أنها معدة بحيث يمكن كشفها ، وليس على نحو يمنع فضح أمرها . وهذه سمة من يرغب فى جذب الاهتمام إلى أمر ما ، وليس من يحاول إخفاء سره . تساءلت فى توتر :

- ولكن تلك المركبة جاءت من الفضاء ، ورصدتها أجهزة المحطة الفضائية فى أثناء هبوطها بالفعل !
اندفع (أكرم) يقول :

- لو أردت رأى ، فتلک المركبة عبارة عن آلة زمن .. لقد انطلق بها صاحبها من المستقبل ، خارج الغلاف الجوى الأرضى ، وعبر بها أحد الثقوب الزمنية ، ليعود إلى عصرنا هذا . غمغت :

- أنتقصد مثلاً فعل (طارق) ؟! (*) .

(*) راجع قصة (فارس الزمن) ... المغامرة رقم (١١٧) .

أجابها (أكرم) :

- بالضبط .

مضت لحظة من الصمت ، بدت خلالها ملامح التفكير العميق على وجه (نشوى) ، حتى اتبعث صوت (رمزى) ، وهو يقول :

- مرحى يا (أكرم) .. إنك متألق أكثر مما ينبغى .
أجابها (أكرم) :

- يبدو أن انخفاض كل المعدلات الحيوية للجسم ، مع النشاط الزائد للمخ ، قد أدى إلى زيادة معدلات الفهم والذكاء بصورة ما .

ابتسمت (نشوى) ابتسامة باهتة ، وهى تغمغم :
- هذا استنتاج عبقرى آخر .

ثم زفرت فى توتر ، مضيفة :

- ولكننى ما زلت عاجزة عن استيعاب الموقف .

سألها (نور) :

- هل الفتحت بأن تلك الكرات النارية كانت تتعقبنا بواسطة بصماتنا الجينية ، المسجلة داخلها ؟!

أجابت بسرعة :

- بالتأكيد .. إنه افتراض علمى منطقى للغاية ،

ويتوافق تماماً مع ما شاهدته بنفسى .

قال (نور) :

- عظيم .. سلى نفسك إذن : كيف حصل خصمنا على بصماتنا الجينية ؟
باغتھا السؤال ، فانتفض جسدها لحظة ، قبل أن يتعقد حلجباها بشدة ، وتلقى على نفسها السؤال ذاته ..
نعم .. كيف حصل على بصماتهم الجينية ؟
المكان الوحيد ، الذى يحفظ بصماتهم الجينية ، هو مركز الأبحاث التابع لجهاز المخابرات العلمية ، كجزء من برنامج الأمن والتحقيق من الشخصية ..
وذلك الشخص لم ينجح فى دخول المركز أبداً ..
ربما فعلها رجله الآلى ، ذو التحوُّر الجينى العجيب ..

ولكنه هو لم يفعلها ..

ثم إن بصماتهم الجينية ما زالت محفوظة كما هى ، داخل خزانة الأمن الإليكترونية المحكمة للغاية ، فى أعماق مركز الأبحاث ..

لقد تحققت من هذا بنفسها ..

فكيف حصل هو على بصماتهم الجينية ؟

كيف ؟

كيف ؟

لم تكن قد ألفت سؤالها هذا ، عندما أتاها صوت (نور) ، يجيب :

- لقد حصل عليها من مستقبلنا يا (نشوى) ..
من زمن لم يعد لنا فيه وجود .. زمن أصبحنا فيه مجرد نكرى أو تاريخ .. لقد حصل عليها من محفوظات تاريخية لفريقنا ، تضم فيما تضم ، بصماتنا الجينية .
كان تفسيره منطقياً ..

ومخيفاً ..

للغاية ..

حتى إن كل ذرة فى كيانها قد ارتجفت فى قوة ..

وفى رهبة ..

وعنف ..

ولثوان ، ظلت صامتة ، ساكنة ، شاردة ، قبل أن

تغمغم :

- نعم .. هذا هو التفسير المنطقى الوحيد .

قال (نور) :

- يسعدنى أن استطعنا إقناعك : فأنت أملنا الوحيد ،

بعد الله (سبحانه وتعالى) ، فى تجاوز هذه الحالة

السخيفة .

اتحدرت الدموع من عينيها ، وهى تقول فى مرارة :



انحدرت الدموع من عينيها ، وهي تقول في مرارة :
- ليتنى أستطيع .. ليتنى أذكر تركيب تلك المادة ..

- ليتنى أستطيع .. ليتنى أذكر تركيب تلك المادة المضادة ، التي تم حقن (رمزى) وأمسى بها ، لاستجوابهم ، مع مصال الحقيقة .. ليتنى لم يتلف كل البيانات فى شبكة كمبيوتر المعامل .

بكت فى مرارة ، وسط صمت حزين ساد المكان ، قبل أن ينبعث صوت (رمزى) ، وهو يقول :
- ربما كانت هناك وسيلة .

سألته فى لهفة :

- وما هى ؟

أجاب فى سرعة :

- سأخبرك ..

ولنصف ساعة أخرى ، راح الكل يناقشون تفاصيل خططهم الجديدة ..

خطة مواجهة عدو غامض . آت من الغد ..

لو أنه ما زال هناك غد ..

★ ★ ★

بلغت استحكامات الأمن ذروتها ، فى القاعدة الفضائية المصرية ، مع وصول مركبات النقل

الخاصة ، فى الثالثة صباحًا ، حاملة تلك المركبة
المجهولة ، المحاطة بالشبكة الإلكترونية مغناطيسية ،
التي تفسد عمل أجهزتها تمامًا ..

وتحت إشراف الدكتور (جلال) شخصيًا ، تم نقل
المركبة إلى قاعة خاصة ، تم تجهيزها مسبقًا ، بحيث
لا يمكن أن تعمل المركبة داخلها قط ..
أو حتى أية أجهزة إلكترونية أخرى ..

لذا ، فقد تم إعداد أجهزة يدوية خاصة ، مع فريق
من الخبراء لأحاطوا بالمركبة ، وراحوا يزيلون عنها
ذلك الغلاف الرغوى فى حرص شديد ، ثم أخذوا
يفحصون جدرانها بعدها بمنتهى الدقة ..

وفى الخامسة والنصف صباحًا ، خرج تقريرهم
الأول ، يعلن أن المركبة مصنوعة من مادة
(التيتانيوم) (*) ، أما تكوينها العام ، فهو أشبه

(*) التيتانيوم : عنصر فلزى نادر ، يقع فى الصف الرابع من
الجدول الدورى ، كتلته (جريجور) ، عام ١٧٩٠ م ، عده
الفلز (٢٢) ، ووزنه الذرى (٤٧.٩٠) . ويعتبر معدن المستقبل ،
بالنسبة لصناعة الطيران ، ومركباته بالغة الأهمية ، ولبلورات ثلثي
أكسيد التيتانيوم (الروتيل) أعلى معامل انكسار معروف (٢.٧) ،
لذا فيمكن وضعها فى صورة بلورات (مسات) متعددة الأوجه .

بالمقاتلات الفضائية ، التى تم تصميمها ، فى مشروع
دفاعى جديد ، يعرف باسم (حرب النجوم) ..

وفى حجرته الخاصة ، راح القائد الأعلى يراجع
التقرير ، قبل أن يسأل الدكتور (جلال) فى اهتمام :
- ألا يمكننا أن نلقى نظرة على ما يقوله الخبراء ،
عبر دائرة تليفزيونية مغلقة ، أو ما يشبه هذا ؟!

هز الدكتور (جلال) رأسه نفياً ، وأجاب :
- ليس فى الوقت الحالى ، فلقد تم عزل قاعة
الفحص بأكملها ، لمنع أية أجهزة إلكترونية من
العمل داخلها ، خشية أن تعود آلات المركبة للعمل ،
فتعرضنا جميعاً للخطر .

سأله القائد الأعلى ، فى توتر بالغ :
- متى يمكننا هذا إذن ؟!
أجابه الدكتور (جلال) وهو يلقي جسده المرهق
على أقرب مقعد إليه :

- فى هذه اللحظة ، يحاول خبراءنا تحديد موقع
باب المركبة ، بواسطة الطرق ، والرنين ، وفور
توصلهم إليه سيتم استخدام شعاع خاص جدًا من
الليزر ! لشق المنخل ، واختراق المركبة ، وعندئذ

سيقوم الخبراء بعزل كل ألاتها عن مصدر الطاقة الرئيسية ، وبعد التأكد من عدم وجود مصدر طاقة فرعى ، ستبدأ عملية الفحص الإلكتروني .

تنهّد القائد الأعلى ، قائلاً :

- هذا سيحتاج إلى ساعتين أخريين على الأقل ..

أشار الدكتور (جلال) بيده ، مؤمناً :

- على الأقل .

ثم اعتدل في مقعده ، متابعاً في اهتمام متوتر :

- ولكن ذلك الفحص المبدئي قاد تفكيرى إلى نقاط

أخرى ، بالغة الأهمية والخطورة ، بشأن هذه المركبة .

سأله القائد فى قلق :

- أية نقاط ؟

أشار الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

- لو راجعت الرسوم المبدئية اليدوية ، للتكوين

الخارجى لتلك المركبة ، مع المادة التى تم صنع

هيكليها منها ، ستلاحظ أنها تبدو أشبه بالتصميمات

الأولى ، التى قام الخبراء بوضعها ، لأول مركبة

زمن .. أعنى تلك التى استقينا أسس تشغيلها من

ملفات الكمبيوتر ، التى نقلها (نور) ورفاقه عن مركبة فارس الزمن (طارق) .

اعتدل القائد الأعلى فى مجلسه ، قائلاً فى توتر :

- حقاً ؟

هزّ الدكتور (جلال) كتفيه ، وهو يقول :

- للتشابه لا يمكن تجاهله ، خاصة وأنه يتعلّق

بالحجم والتكوين ، المقترحين لمركبة الزمن القادمة ،

بل وبتمسيحية التصميم ، ومقاومة الهواء ، والتفاصيل

الفنية الأخرى ، حتى لقد خطر ببالى أن ...

يتر عبارته ، ولم يستطع إكمالها لسبب ما ، ولكن

القائد الأعلى أكمل ، قائلاً فى حزم :

- أنها آله زمن .

هتف الدكتور (جلال) :

- بالضبط .

التفت حاجباً القائد الأعلى فى شدة ، وتراجع فى

مقعده ببطء ، وأسند مرفقيه إلى طرف مكتبه ، وهو

يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وراح يتطلّع إلى

الرسم اليدوى أمامه بعض الوقت ، قبل أن يقول فى

حزم :

- هناك وسيلة لحسم الأمر .

سأله الدكتور (جلال) فى لهفة :

- وما هى ؟!

لقى القائد الأعلى نظرة أخرى على الرسم اليدوى ،
قبل أن يجيب :

- إننا نعرف على الأكل موضع الباب ، فى تصميمات
مركبتنا الزمنية .

تألفت عينا الدكتور (جلال) وهتف ، وقد أدرك
مغزى عبارة القائد الأعلى :

- آه .. فهمت .

ثم ضغط زر جهاز اتصال دخلنى محدود ، وهو
يقول :

- أنا الدكتور (جلال) .. أريد التصميمات الأولية
لمركبة الزمن .

لم تمض دقائق ، حتى كانت التصميمات كلها
أمامهما ، فأشار القائد الأعلى إلى موضع الباب
عليها ، قائلاً :

- دعهم يحاولون .

وبسرعة مذهشة ، وإتقان يرتبط باسم المخبرات
العلمية ، انتقل الأمر ، عبر جهاز اتصال خاص إلى

قسم المتابعة ، الذى أرسل أحد أفرادہ إلى قاعة
الفحص ، وما إن أدرك خبراؤها المطلوب ، حتى
اتجهوا إلى الموضع المحدود فى التصميمات بالضبط ..

ولم يستغرق الفحص سوى دقائق ثلاث ، أعلن
الخبراء بعدها أنهم قد عثروا على الباب بالفعل ، فى
الموضع نفسه ..

وهتف الدكتور (جلال) فى انفعال :

- رياه ! .. إنها إحدى مركبتنا إذن .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

- تقصد أنها ستصبح كذلك .

ثم اعتدل ، مستطرداً فى حزم :

- فى الغد .

هتف الدكتور (جلال) :

- بالضبط .

نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه ، وهو يقول :

- المفترض أن يساعدنا هذا على إنجاز العمل بسرعة

ودقة أكبر .

قال الدكتور (جلال) فى حماس :

- بالتأكيد .

أجابه القائد الأعلى :

- دع رجالك يعملون بأقصى طاقتهم إذن ، حتى نحصل على كل النتائج الممكنة ، فما كشفناه الآن لا يحلّ اللغز ، وإنما يضع أمامنا لغزاً آخر .

وشدّ قامته لحظة ، قبل أن يتابع في توتر شديد :

- لماذا يسعى غداً للقضاء علينا ؟! لماذا ؟!

ولم يحر الدكتور (جلال) جواباً ..

فقد كان السؤال نفسه غامضاً ..

للغاية ..

★ ★ ★

ضغطت (نشوى) أزرار الكمبيوتر في سرعة ، داخل حجرة قائد المستشفى العسكري ، قبل أن تستدير إلى الدكتور (حجازى) ، قائلة :

- البرنامج الذى أشار به (رمزى) جاهز للعمل .

سألها الدكتور (حجازى) فى قلق :

- وماذا عنك ؟!

ازدردت لعبائها فى صعوبة ، وأجابت بصوت يحمل الكثير من الانفعال :

- أنا مستعدة تماماً .

سألها قائد المستشفى :

- هل لى أن أعرف ماذا يحدث هنا ؟!

أجابه (نشوى) فى سرعة :

- إنه برنامج كمبيوتر خاص ، يمكن أن يكوننا إلى معرفة تركيب المادة المضادة ، التى يمكنها إعادة الجميع إلى حالتهم الأصلية .

سألها فى توتر :

- ولماذا يتم استخدامه فى حجرتى بالذات ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) هذه المرة :

- لأنها آخر مكان يمكن أن يخطر ببال أحد أيها

القائد .

بدا عدم الاقتناع على وجه الرجل بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن قال :

- فليكن .. ما دامت هذه وجهة نظركم ، فمن المؤكد أن لها ما يبررها ، ولكن هذه الحجرة تحوى الكثير من الوثائق والأوراق ، ولن يمكننى السماح لكما بالبقاء فيها وحدكما ، مهما كانت أسبابكما .

أجابه (نشوى) :

- لا ضرورة لهذا .. إنه برنامج تنويم مغناطيسى

فحسب ..

هتف الرجل في دهشة :

- تنويم مغنطيسي !؟

أجابته (نشوى) :

- نعم أيها القائد .. تنويم مغنطيسي .. الوسيلة المثلى لاستعادة جزء مفقود من الذاكرة ، أو إضاءة جانب مظلم من العقل .. فطبقاً لنظرية علمية صحيحة ، لا يمكن أن ينسى الإنسان أى شيء اختبرته حواسه .. لا يمكن أن ينسى شيئاً رآه ، أو سمعه ، أو قَلَّه ، أو شَمَّه ، أو حَتَّى لمسَه .. كل ما فى الأمر أن الذاكرة البشرية لا تضع كل ما اختبرته فى موضع واحد ، وإنما تقسمه إلى فئات مختلفة ، فهناك الذاكرة الأساسية ، التى تحكم حياتنا اليومية ، والتى تحوى كل خبرتنا عن المشى والكلام والرؤية ، والسمع ، وغيرها ، وبوساطتها يمكننا التحدث ، وتمييز الأشياء والتعايش مع البيئة المحيطة ، وهناك ذاكرة دارجة ، تحوى كل ما تخبره حياتنا ، وكل ما نتعلمه من علوم ولغات ، وكل المعارف الأخرى ، ثم هناك الذاكرة الاحتياطية ، التى يخزن فيها العقل كل ما نمر به ، دون أن نتوقف عنده طويلاً ، أو كل ما لا يتم استخدامه

بصفة دورية ، وهذه الذاكرة الأخيرة هى ما نحتاج إليه الآن (*) .

سألها قائد المستشفى مبهوراً :

- كيف !؟

أجابته فى حماس :

- بوساطة برنامج الكمبيوتر هذا ، يمكن إخضاع أى شخص لحالة من التنويم المغنطيسى ، لو أنه لم يقاوم هذا (*) ، وعبر هذا التنويم المغنطيسى ، يمكن أن نوقف الذكريات النائمة ، فى تلافيف مخه ، أو نضىء الأماكن المظلمة منه ، ونستحبه على استرجاع كل ما رآه أو سمعه ، أو حتى لمسَه ، فى أية لحظة من عمره .

سألها مبهوراً :

- وبم يمكن أن يفيدكم هذا !؟

أجابته الدكتور (حجازى) هذه المرة :

(*) حقيقة .

(**) معظم الدراسات ، التى أجريت حول التنويم المغنطيسى ، تؤكد أنه من غير الممكن إخضاع شخص ما للتنويم المغنطيسى دون إرادته ، ومن العسير أيضاً إقناعه ، وهو تحت تأثيره ، بالقيام بأى عمل ، يتنافى مع طبيعته الأصلية ، أو معتقداته القوية .

غمغت (نشوى) :
- بالتأكيد .

ضغط الدكتور (حجازى) زراً أخيراً ، فأضيت شاشة الكمبيوتر بضوء قوى ، ينبع من مركزها تماماً ، وراحت تومض على نحو منتظم ، قبل أن تتكون فى منتصفها دائرة بنفسجية ، أخذت تتسع وتتسع ، وترسم مع حركتها مجموعة أخرى من الدوائر الزرقاء والخضراء ..

وفى نفس الوقت ، بدأ الدكتور (حجازى) يتحدث بصوت هادئ عميق ، وهو يقول :

- استرخى تماماً .. دعى أطرافك كلها تستكين وتهدأ .. اطردى كل شيء عن ذهنك ، و ..

قبل أن يتم عبارته ، هتف قائد المستشفى بغتة ، وهو يشير إلى النافذة للمقابلة له عبر الحجرة :

- رباه ! .. ما هذا ؟!

اقتزع هتافه (نشوى) من استكانتها ، فوثبت من مقعدها ، واستدارت مع الدكتور (حجازى) يحدقان فى النافذة ..

ثم انطلقت من حلق (نشوى) شهقة قوية ..

- عدونا الغامض سعى لتدمير كل ما يتعلق بالمادة المضادة ، التى يمكن أن تعيد أفراد الفريق إلى حالتهم الأولى ، ولكن (نشوى) رأت تقرير المعامل ، قبل أن يتم تدميره ، وابتعاش ذاكرتها ، من خلال التتويم المغطيسى ، يمكننا أن نحصل على تركيبة المادة المضادة .

بدا الانبهار أكثر على وجه قائد المستشفى ، وهو يقول :

- أظن أنه سيسعدنى كثيراً أن أرى هذه التجربة بنفسى .

غمغم الدكتور (حجازى) :
- بالتأكيد .

ثم أشار إلى (نشوى) ، قائلاً :
- يمكننا أن نبدأ .

تحدثت فى توتر ، ثم جلست أمام شاشة الكمبيوتر ، وتمتم الدكتور (حجازى) ، وهو يضغط أزراره :

- لست بمهارة (رمزى) بالتأكيد ، فى هذا المضمار ، ولكن أظننى أستطيع إتجاره على نحو جيد .

وفي نفس اللحظة ، التي انطلقت فيها شهقتها ،
افتحمت كرة من النار نافذة الحجرة ، وانقضت
مباشرة على آخر أعضاء الفريق ..

على (نشوى) ..

وصرخ الدكتور (حجازى) :

- احترسى .

ولكن (نشوى) لم تتحرك قيد أنملة ..

لقد تجمدت فى مكانها ، وحدثت فى كرة النار بكل
انفعالاتها ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ..

وانقضت كرة النار ، متتبعة البصمة الجينية ، التى
يحويها برنامجها ..

وفى أبعد مبنى فى المكان ، سمع الجميع دوى
الانفجار المكتوم ..

ثم هبط على المكان صمت رهيب ..

رهيب للغاية .

★ ★ ★

٦- الإشارة ..

« تم إيقاف كل مصادر الطاقة داخل المركبة .. » .
نطق الدكتور (جلال) العبارة فى الفعل ، وهو
يواجه القائد الأعلى ، الذى بدا عليه الانفعال ، وهو
يقول :

- هل يمكننا أن نلقى نظرة عليها الآن ؟!

أجابته الدكتور (جلال) فى حماس :

- بالتأكيد .. إنها صورة مطورة من تصميمات
مركبتنا ، مما يؤكد أنها قادمة من مستقبلنا بالفعل ،
ولقد بدأ رجالنا يوصلون آلات المراقبة ، حتى
يمكنك أن ..

قاطعه القائد الأعلى فى حزم :

- سأذهب لإلقاء نظرة عليها بنفسى ..

بدا القلق على وجه الدكتور (جلال) وهو يقول :

- ولكن ماذا لو ..

قاطعه القائد الأعلى مرة أخرى :

- سأذهب بنفسى .

كان ممر متحرك يقودهما إلى مبنى مركز الأبحاث ،
عندما سأل القائد الأعلى :

- ما موقف فريق الرائد (أيمن) الآن ؟

أجابه الدكتور (جلال) :

- لقد زوّنتهم بكل ما لدينا من أجهزة تعقب حديثة ،
وهم يسهون الآن لتعقب الآثار الحرارية ، التى تركها
ذلك الشخص خلفه ، عندما فرّ بغلافه الخفى ، من
المستشفى العسكرى .

سأله القائد الأعلى :

- وهل تعتقد أن لديهم فرصة للنجاح ، فى مهمتهم
هذه ؟

تنهّد الدكتور (جلال) ، مجيباً :

- فرصة لا تزيد على الستين فى المائة .

مطّ القائد الأعلى شفّتيه ، مغمغماً :

- فليقبل الله (سبحانه وتعالى) ما فيه الخير .

لم يتبدل حرفاً آخر ، حتى بلغا قاعة الفحص ،
التى عادت كل أجهزتها الإلكترونية للعمل ؛ لفحص
المركبة المجهولة ، التى بدت بالفعل كنسخة مطوّرة ،
من مشروع إنتاج آلة الزمن الأولى ..

وعلى شاشة الكمبيوتر ، ظهر رسم مجسم للمركبة ،
وهو يدور حول نفسه ، لتوضيح كل أسطحها
وزواياها ، فأشار إليه الدكتور (جلال) ، قائلاً :

- مقاييسها تطبقت على تصميمات مركبتنا ، بنسبة
سنة وتسعين فى المائة .

غمغم القائد الأعلى :

- مدهش :

أشار الدكتور (جلال) إلى المركبة ، التى انتشر
الخبراء داخلها وحولها ، وقال :

- أجهزتها تتشابه كثيراً مع أجهزتنا ، ولكنها أكثر
تطوّراً ، كما أنها تستخدم برامج تعتمد على نفس
الأسس ، التى نستخدم عليها ، وهذا يثبت أنها بالفعل
من مستقبلنا .

هزّ القائد الأعلى رأسه ، مغمغماً :

- وهذا يعيدنا إلى السؤال نفسه .. لماذا يسعى
مستقبلنا للقضاء علينا ؟

قال الدكتور (جلال) ، محاولاً تفسير الموقف :

- ولماذا نفترض أن مستقبلنا يسعى للقضاء
علينا ؟ إن ذلك القادم من الغد يسعى للقضاء على
(نور) وفريقه فحسب .

قال القائد الأعلى في توتر :

- لماذا ؟! لماذا (نور) وفريقه ؟! ما الذي يدفع

مستقبلنا إلى السعى خلفهم ؟!

مط الدكتور (جلال) شفتيه ، قائلاً :

- ربما هي محاولة انتقام ، من شيء ما فعلوه

بقريب أو تسبب لذلك المجهول من قبل ، أو سيفعلونه

به في المستقبل القريب ؟!

هز القائد الأعلى رأسه مرة أخرى ، قائلاً :

- الأمر ليس بهذه البساطة يا دكتور (جلال) ..

من الواضح أن الفارق بيننا وبين زمن ذلك العدو

ليس بالكبير ، لأن ما أتى به مجرد أسلحة وأجهزة

أكثر تطوراً مما لدينا ، وطبقاً لسرعة عجلة التطور ،

فهذا يعني أنه أتى من زمن يعقبنا بخمسة أو عشرة

أعوام فحسب ، وعلى الرغم من أننا سنكون قد التفتنا

مركبة للزمن بإذن الله (سبحانه وتعالى) ، في تلك

الفترة تقريباً ، إلا أنه من المؤكد أنها لن تكون متاحة

لأي شخص ، بل ستظل لسنوات أخرى طويلة سلاحاً

بالغ الخطورة إلى حد كبير ، كما أن خريطة الزمن

نفسها لن تتاح ، حتى بالنسبة للخاصة ، إلا بعد

تجارب طويلة وشاقة .

بدا الفلق على الدكتور (جلال) ، وهو يتساءل :

- ماذا تعني بهذا أيها القائد ؟!

أجابته القائد الأعلى في حزم :

- أعني أنه طبقاً للعقل والمنطق ، فحين ذلك

المستقبل ، الذي يسعى خلف (نور) وفريقه ، قد أتى

إلينا في مهمة خاصة .

ثم اتعقد حاجباه في شدة ، وهو يضيف :

- مهمة رسمية .

شهق الدكتور (جلال) ، مع تلك العبارة الأخيرة ،

واتسعت عيناه في ذعر واستنكار ، وهو يحدث في

وجه القائد الأعلى ، وهم يقول شيء ما ، عندما هتف

أحد الخبراء بقوة :

- سيدي .. نعتقد أنه هناك ما ينبغي أن تلقى نظرة

عليه .

تبادل القائد الأعلى والدكتور (جلال) نظرة متوترة ،

ثم اندفع كلاهما إلى المركبة ، وما إن أصبحا داخلها ،

حتى هتف الأخير .

- ما الذي ينبغي أن تلقى نظرة عليه ؟!

أشار الخبير إلى جزء مرتفع ، في مؤخرة المركبة ،

قائلاً :

- لقد أعدنا الطاقة إليها ، بعد أن فصلنا كل أجهزة القيادة والأسلحة الدفاعية منها ، ثم عثرنا على هذه الخزانة السرية ، وعندما نجحنا في فتحها ، كانت أمامنا مفاجأة مذهلة .

قال القائد الأعلى في صرامة محتدة :

- ما الذى وجدتموه بالضبط ؟

ضغط الخبير زراً خفياً في جدار المركبة ، وهو يقول :

- هذا .

ومع ضغطته ، انفتح غطاء الخزانة السرية في ببطء ، والكشف ما داخله ..

وكان الخبير على حق تماماً ..

فالمفاجأة ، بالفعل ، مذهلة ..

بل وأكثر من مذهلة ..

* * *

غمر الوهج الأحمر مكتب قائد المستشفى العسكرى ، إثر انفجار كرة النار ، التى أطلقت كل المادة الكيميائية داخلها في وجه (نشوى) ، التى اقتلع الانفجار جسدها ، وألقاها مترين إلى الخلف ، لترتطم بالجدار ، ثم تسقط عى وجهها ..

ويكل هلعه وذعره ، صرخ الدكتور (حجازى) :

- لا .. ليس (نشوى) .. لا ..

ومع صرخته ، تندفع نحوها ، وراح يضرب الهواء بيديه ، وكأنما يحاول إزاحة ذلك الوهج ، فى حين

هتف قائد المستشفى ، وهو يقفز إلى هاتف الطوارئ :

- ماذا يحدث هنا ؟ رياه ! ماذا يحدث هنا ؟

واللتقط سماعة الهاتف ، صائحاً بلهجة أمرة :

- خطة الطوارئ القصوى .. الآن ..

وبينما يطلق أوامره ، كان الدكتور (حجازى)

ينحنى نحو (نشوى) ، فى محاولة لإسعافها ، ولكنه

لم يكد يقترب منها ، حتى فوجئ بها تهتف به :

- لا .. لا تلمسنى .

ترجع بحركة حادة ، وهو يهتف :

- رياه !.. أنت بخير ؟

نهضت ، قائلة ، والوهج يتلاشى فى سرعة :

- نعم .. أنا بخير .. اطمئن .

سألها مبهوراً :

- ولكن كيف ؟

أجابته ، وهى تحرك أصابعها فى خفة ، لالتقاط

غلاف رقيق شفاف عن جسدها :

- إنها فكرة أبى .. لقد اقترح أن أحيط جسدى بغلاف واق ، من الأغلفة التى يستخدمها أطباء أبحاث الفضاء ، حتى لا تفسد المادة الكيميائية بشرتى ، أو يمتصها جسدى .

كانت تنتزع ذلك الغلاف الرقيق ، غير الملحوظ ، فى دقة وحرص شديدين ، فحنق فيها ذاهلاً ، وهو يتساءل :

- وكيف حصلت على ذلك الرداء هنا ؟! إننى لم ألحظ وجوده قط ، حتى بدأت فى انتزاعه عن جسدك ! أجابته ، وهى تواصل نزع الغلاف عن جسدها ، فى حرص بالغ :

- هذا هو الغرض منه .. ألا يسبب أى عائق لمرتديه ، فهو رقيق للغاية ، وقوى أيضاً ، فى الوقت ذاته ، كما أنه لا يسمح بعبور أية ميكروبات أو مواد كيميائية أخرى ، فى حين يؤمن عملية التنفس الهادئ ، فى الوقت نفسه ، ولقد عثرنا على ردائين منه هنا ، فى قسم أبحاث الطوارئ والسموم .

كانت قد انتهت من انتزاع الرداء كله ، فأسرع الدكتور (حجازى) يلتقط علبة محكمة من حقيبته ،



كان الدكتور (حجازى) يحنى نحو (نشوى) ، فى محاولة لإسعافها .

وعاونها على وضع الرداء داخله ، بكل ما التصق به
من مادة كيماوية غامضة ، قبل أن يهتف :
- فكرة عبقرية بالفعل .

ومع آخر حروف كلماته ، اقتحم رجال أمن
المستشفى المكان ، فهتف بهم الدكتور (حجازى) :
- مهلا ، لا تحاولوا الدخول ، قبل أن يتم تأمين
المكان جيّداً .

توقف الرجال فى تردد وارتباك ، فهتف بهم قائد
المستشفى .

- إنه على حق .. كلنا هنا بخير .. أرسلوا فى
طلب خبراء المعامل .. هيا .

أسرع رجال الأمن لتلبية أوامر قائدهم ، فى حين
قالت (نشوى) فى توتر :

- إنه لن يكتفى بهذه المحاولة الفاشلة ، وسيعاود
الكرّة حتماً ، وفى المرة التالية ، سيحاول تلافى
أسباب الفشل ، وربما تكون لديه وسيلة لتجاوز
الغلاف الواقى .

قال الدكتور (حجازى) بسرعة :
- هذا يعنى أنه من الضرورى أن نجد وسيلة أخرى
لحمايتك .

أمسكت يده بقوة ، قائلة :

- بل يعنى حتمية أن نعمل بأقصى سرعة ، قبل أن
يبدأ محاولته الثانية .

هتف فى دهشة :

- وماذا عن حمايتك ؟

أجابت فى حزم :

- حماية الجميع أكثر أهمية .

ثم استدارت إلى جهاز الكمبيوتر ، وعادت تضرب
أزراره فى سرعة ، مستطردة بكل اللفة :

- دعنا نبدأ برنامج التنويم المغناطيسى مرة أخرى .

أجاب فى سرعة :

- فليكن .

انطلق أزيز متصل ، قبل أن يتحرك من مكانه ،
فانعقد حاجبا (نشوى) فى توتر ، وهى تعغم :

- ما هذا بالضبط ؟

سألها قائد المستشفى :

- ماذا حدث ؟

أجابته ، وهى ترفع ساعتها إلى وجهها :

- إنه جهاز الاتصال الخاص بالفريق .. المفترض أن ذبذبته خاصة وسرية للغاية ، ولا يستخدمها سوى أفراد الفريق ، وكلهم يراقبون هنا ، عاجزين عن ضغط زر واحد .

قالتها ، ثم ضغطت زر الاتصال ، قليلة :
- من المتحدث ؟

أناها صوت جاف عميق ، يقول بمزيج من الغضب والسخرية :

- إذن فقد نجوت من كرتى النارية .

انتفض جسدها فى عنف ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تهتف :
- أنت ؟!

أجابها بنفس الصوت واللهجة :

- نعم .. هو أنا يا عبقرية الفريق .. يا ابنة قاهر الغزو .. أنا الشخص الذى لن يمكنكم هزيمته أبداً ؛ لأنه يعلم كل شيء عنكم .. حتى ما تحاولون إخفاءه طوال الوقت .

قالت فى عصبية :

- هل تعلم أننى أستطيع ، بوساطة اتصالاتك هذا ، أن أحدد موقعك ، و ..

قاطعتها ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يقول ذلك الشخص :

- موقعى ؟! ومن قال : إننى أحاول إخفاء موقعى يا عبقرية الفريق ؟! على العكس تماماً .. لقد اتصلت بك خصيصاً ، لأخبرك أين أنا .

سرت فى جسدها موجة عنيفة من التوتر ، وهى تقول :

- وأين أنت بالضبط ؟!

أطلق ضحكة ساخرة أخرى ، قبل أن يجيب فى شراسة :

- هناك من يمكن أن يخبرك أفضل منى .

اتعقد حاجباها فى شدة ، وهى تتسائل عما يعنيه ، ولكن تسأولها هذا لم يستغرق لحظة واحدة ، ففى اللحظة التالية مباشرة ، انبعث من جهاز الاتصال فى ساعتها صوت (مشيرة) ، وهى تقول فى زعر شديد :

- (نشوى) .. إنه هنا .. ذلك المجرم ، الذى حاول قتل (أكرم) فى المستشفى .. لقد عدت من هناك لأجده بانتظارى .. لقد قتل مساعدى ، ويسيطر على (محمود) الصغير .. إنه هنا يا (نشوى) ..

وبمتهى العلف ، سقط قلب (نشوى) بين
قدميها ..
كالذبيح ..

★ ★ ★

« من الرائد (أيمن) إلى القيادة .. تم تحديد وكر
العدو ، ونحن نحيط به الآن .. » .
همس الرائد (أيمن) بالعبارة ، وهو يتحرك فى
خفة ، نحو فيلا صغيرة منعزلة ، فى أحد أطراف
(القاهرة) الجديدة ، وأشار إلى فريقه ، الذى تحرك
أفرادهم فى سرعة وبراعة ؛ ليحيطوا بالفيل ، والرائد
(أيمن) يكمل ، عبر جهاز الاتصال المحدود :
- أجهزة الرصد والتتبع قادتنا إلى هنا .. لقد
سجلنا الانبعاث الحرارى للجسد الخفى ، الذى غادر
المستشفى العسكرى ، إثر ذلك الاعتداء ، وتتبعناه
إلى هنا ، وننتظر الإذن بالهجوم .

أتاه صوت رئيسه المباشر ، يقول :
- لا تحاول الهجوم الآن أيها الرائد .. انتظر
الإمدادات .. أكرر .. لا تحاول الهجوم الآن .
همس (أيمن) معترضاً :

- اتنا هنا الآن ، ولدينا ما يكفى للهجوم .
أتاه صوت رئيسه المباشر ، مفعماً بالغضب
والصرامة :

- انتظر الإمدادات ..
زفر (أيمن) فى توتر ، وهو يقول :
- فليكن .. سننتظر الإمدادات .
لم يكمل عبارته ، حتى التقطت أجهزته إشارة
غير مألوفة ، على نحو مباغت ، جعله يهتف :
- ما هذا بالضبط ؟
سأله رئيسه المباشر ، عبر جهاز الاتصال المحدود :
- ماذا حدث عندك أيها الرائد ؟
اتعقد حاجباً (أيمن) فى شدة ، وهو يتطلع إلى
الفيل فى توتر شديد ، مجيباً :
- هناك أمر غريب يحدث .. لقد أضيلت نافذة
صغيرة أعلى الفيل ، وأجهزتنا كلها تتلقى إشارة
عجيبة للغاية .
هتف به رئيسه :
- تراجع أيها الرائد .. انسحب وفريقك من منطقة
الهدف على الفور .

قال (أيمن) فى عصبية :

- ولماذا نترجع !! إننا نحاول أن ..

قبل أن يتم عبارته ، انطلقت من حلقه شهقة قوية ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدث فى كرة مضينة كبيرة ، عبرت تلك النافذة الصغيرة أعلى الفيلا ، وتعلقت فى الهواء لحظة ، هتف خلالها رئيسه ، وكأنما يشاهد ما يحدث بنفسه :

- انسحب أيها الرائد .. انسحب بأقصى سرعة .. انسحب بالله عليك .. انسحب ..

ومع آخر هتافاته ، انفجرت الكرة فجأة ، وانطلقت منها عدة كرات نارية ، تفرقت بسرعة مخيفة .. ثم انقضت على أفراد فريق الرائد (أيمن) .. بمنتهى القوة ..

والعنف ..

والشراسة ..

وبحركة آلية سريعة ، تخلى (أيمن) عن جهاز الاتصال ، وانزع مسدسه الليزرى من غمده ، وهو يهتف بالتفعل غامر :

- يا إلهى ! .. يا إلهى ! ..

وأمام عينيه ، رأى كرة من النار تنفجر فى صدر أحد أفراد فريقه ، وتطيح به على نحو مخيف ، وأخرى تطارد فرداً ثانياً ، وثالثة تنقض على آخر فى عنف ..

ثم رأى واحدة من كرات النار تتجه نحوه مباشرة .. وصرخ (أيمن) ، وهو يرفع مسدسه الليزرى ، ويطلق أشعته نحوها :

- رياه ! .. إنه يهاجمنا جميعاً فى آن واحد .. انطلقت أشعة مسدسه مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وفى كل مرة كانت ترتطم بالكرة ، التى تتألق فى قوة ، ثم تواصل طريقها بسرعة أكبر ..

ومع شعوره بعدم جدوى هذا ؛ استدار (أيمن) ، وانطلق يدعو بأقصى سرعته ، محاولاً بلوغ سيارته الخاصة ، وتشغيل درعها الواقى ..

ولكن الكرة النارية لحقت به بسرعة مخيفة ..

ثم ارتطمت بظهره ..

وانفجرت فى عنف ..

ومع الانفجار ، طار جسد (أيمن) على نحو مخيف ،
حتى إنه تجاوز سقف سيارته ، وعبرها بسرعة
رهيبية ، قبل أن يهوى أرضاً بمنتهى العنف .. ومن
جهاز الاتصال المحدود ، المعلق بيده ، اتبعث صوت
رئيسه المباشر ، وهو يهتف بتوتر بالغ :
.. ماذا يحدث عندك يا (أيمن) .. ماذا يحدث عندك ؟!
فتح (أيمن) عينيه فى صعوبة ، وحاول أن يقول
شيئاً ما ..
أى شيء ..

ولكن الأكم كان رهيباً ..
والشلل كان يسرى فى أطرافه بسرعة ..
وعلى الرغم من هتاف رئيسه ، الذى ينبعث بصفة
متصلة ، من جهاز الاتصال المحدود ، فإن (أيمن)
لم يسمع شيئاً ..
لقد تناقل جفناه ..
وتهاورا ..
ثم انتشر الظلام أمام عينيه المفتوحتين بسرعة ..
حتى شمل كل شيء ..
بلا استثناء ..

★ ★ ★

لثوان ، لم تستطع (نشوى) النطق بحرف واحد ،
وقد تجمعت مشاعرها عن آخرها ، وتجمعت معها كل
خلية فى جسدها ، و (مشيرة) تصرخ :
.. إنه يسيطر على (محمود) الصغير .. يسيطر
علينا جميعاً ..
ثم انطلقت منها صرخة مذعورة ، نقل جهاز
الاتصال بعدها صوت ذلك العدو ، وهو يقول ، بنفس
اللهجة العصبية :
.. أظنك قد استوعبت الموقف الآن يا عبقرية
الفريق ..

ارتجفت شفتا (نشوى) ، وهى تغغم :
.. نعم أيها التوعد ..
هتف بها الدكتور (حجازى) ، فى توتر بالغ :
.. إنه هو .. أليس كذلك ؟!
أشارت إليه بالصمت ، وهى تقول فى عصبية
بالغة ، عبر جهاز الاتصال الخاص :
.. كيف يمكن أن ينحدر جاسوس مستقبلى مثلك إلى
هذا الدرك ، فيتحوّل إلى خاطف أطفال حقير ؟!
أجابها فى عصبية زائدة :

- جاسوس مستقبلي ؟! إذن فقد أدركتم نصف الحقيقة .. عجباً ! لقد أثار تاريخكم إلى أن (نور) وحده كان عبقرى الاستنتاج فى الفريق .
قالت فى حدة :

- وما زال ، وسيظل كذلك .. لقد كشف أمرك ، وفضح خطتك كلها .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول العدو :
- لست أظن هذا .. كل ما كشفتموه هو أننى من المستقبل ، وهذا وحده لا يعنى الكثير ، ما لم تتركوا النصف الآخر .

سألته فى حذر :

- وما النصف الآخر ؟!

أجاب فى شراسة :

- ماذا تفعلين بالضبط ؟! هل تحاولين إضاعة الوقت ، أم أنك تسخرين من ذكائى ؟!
قالت فى غضب :

- بل ما الذى تفعله أنت بالضبط ؟! هل فشلت فى القضاء على الكبار ، فاستدرت لتحارب الأطفال ؟!
قال فى شراسة شديدة :

- اسمعنى أيتها المتحذقة ، وكفى عن هذه السخافات الأثوية .. إننى لم آت إلى هنا ، ولم أسيطر على صغيرك ، لنحدث عبر جهاز اتصالاتكم الخاص هذا .. إنها ، وبكل وضوح ، وسيلة لاستعادة السيطرة على الأمور .
قالت فى عصبية :

- إذن فأنت تعترف بأنك قد فقدت السيطرة على الأمور .

هتف فى حنى :

- هذا لأنكم عنيدون أكثر مما ينبغي .. لقد كان كل شيء يسير على ما يرام ، وكان من المفترض أن تتم المهمة على خير ما يرام ، طبقاً للجدول الموضوع ، ولكنكم أفسدتم كل شيء .. كل شيء .

قالت فى توتر :

- لذا فقد ..

قاطعها بصرخة هادرة :

- اصمتى ، واستمعى إلىّ جيّداً ..

انعقد حاجباها فى توتر بالغ ، فى حين تابع هو فى حدة :

- لو أردت استعادة ابنك حيًا ، فطليك أن تضعي خدماتك كلها تحت تصرفي .

هتفت مستنكرة .

- ماذا ؟! هل تطلب مني خيطة هريقي وحاضري ؟!
قال في شراسة :

- بل أطلب منك أن تطيعي أوامري بلا مناقشة ،
وإلا ..

قلت في عصبية :

- وإلا ماذا ؟!

أجاب في صرامة شديدة :

- وإلا فسأبيع ابنك بلا رحمة .

عاد قلبها يهوى بين قدميها ، وكادت أصابعها تتغرس في جهاز الاتصال ، وهي تقول في حدة ،
محاولة النظاهر بالشجاعة :

- لن تجرؤ .

جاوبتها ضحكة ساخرة ، عصبية ، عالية ، شرسة ،
قبل أن يقول :

- هل تظنين هذا ؟!

ثم سمعت صوت (مشيرة) تصرخ ، في ذعر وألم ، على نحو يوحى بأن ذلك الشخص يجذبها في قبضة شديدة ، ثم بدا صوتها واضحًا ، وهي تصرخ في رعب :

- إنه قلار على فعلها يا (نشوى) .. صدقيني ..
إنك لم ترى كيف ذبح مساعدى المسكين ، دون أن يطرف له جفن .

قالتها (مشيرة) ، ثم صرخت مرة أخرى ، على نحو يوحى بأن ذلك العدو قد استخدم معها القسوة ثقتية ، قبل أن ينبعث صوته هو ، عبر جهاز الاتصال الخاص ، وهو يقول في صرامة شرسة :

- أريدك هنا ، بعد عشرين دقيقة فحسب ، وقبل أن تشرق الشمس ، ودون أن يعلم مخلوق واحد بما دار بيننا .. عشرون دقيقة ، وبعدها سأبيع ابنك .

وانتهى الاتصال في عنف ، فاستمع وجه (نشوى) على نحو مخيف ، وزاغت عيناها في محجريهما ، مما دعا الدكتور (حجازي) إلى أن يسألها في توتر :

- ماذا حدث يا بنيتي ؟! ماذا يريد ذلك اللوغد ؟!

تردد سؤالا في رأسها ، وكأنيهما باتيان من أعماق الكون ، وراح ذهنها يستعيد عشرات المشاهد لوالديها ، وزوجها ، و (لكرم) ، و (مشيرة) ..
ثم احتلت صورة واحدة كيانها كله ..
صورة ابنها (محمود) ..
وفي نفس اللحظة ، سألتها الدكتور (حجازي) في إلحاح :

- ماذا ستفعلين يا بنيتي ؟!

سألت الدموع من عينيها ، وهي تغغم :
- يبدو أنه ليس لدى خيار يا دكتور (حجازي) ..
نطقتها ، وتفجرت الدموع من عينيها في غزارة ..
نعم .. ليس لديها خيار ..
على الإطلاق .

★ ★ ★



٧ - قاتل من المستقبل ..

لم يكن من السهل أبداً أن يستوعب الجميع هذه المفاجأة المذهلة ..

لذا ، فقد هبط على القاعة كلها صمت رهيب مهيب ، ولكل يحرق في تلك الخزانة الزجاجية ، التي يحملها الرجال من داخل المركبة الزمنية ، وفي الجسد الممجي داخلها ، في صمت وسكون تامين ..
ومن كل العيون ، أطل مزيج من الذهول والحيرة والاضطراب والتوتر ..

مزيج لم يخفف لحظة واحدة ، حتى استقرت الخزانة الشفافة فوق قاعدة كبيرة ، في ركن المكان ، وبدا الجسد داخلها واضحاً جلياً ، مع الإضاءة المباشرة ..

وفي توتر ، قطع القائد الأعلى ذلك الصمت الرهيب المهيب ، عندما دلف الدكتور (جلال) إلى القاعة ، وسأله :

- هل تأكدت من أنه هناك ؟!

لَوْحَ الدكتور (جلال) بيده ، مجيباً :

- نعم .. إنه هناك ، ولم يغادر المكان قط ، منذ
وصل إلى المستشفى .

ازداد انعقاد حاجبي القائد الأعلى ، وهو يعيد
بصره إلى ذلك الجسد ، داخل الخزنة الزجاجية ،
مغمضاً :

- عجباً ! .. من هذا إذن ؟!

أشار الدكتور (جلال) إلى الجسد بدوره ، قائلاً :

- بل فننقل : ما هذا ؟! ، حتى نتيقن مما إذا كان

هذا الشيء بشرياً أم ماذا ؟!

التفت إليه القائد الأعلى ، يسأله :

- هل اتصلت بخبراء الفحوص البيولوجية ،

وأخصائيي الأمسجة البشرية ؟!

أوما الدكتور (جلال) برأيه إيجابياً ، وقال :

- كلهم في طريقهم إلى هنا .

سأله القائد الأعلى :

- هل تعتقد أن تلك الخزنة الزجاجية المحكمة ،

تحتوي غازاً ما أو أية مادة خاصة ، للإبقاء على ذلك

الجسد سليماً ؟!

أجابه الدكتور (جلال) :

- سيتم فحصها على الفور .

مع آخر حروف كلماته ، وصل فريق الخبراء
الجديد ، فأشار إليهم الدكتور (جلال) ، على نحو
جعلهم يتجهون إلى الخزنة الزجاجية ، ويبدؤون
عملهم على الفور ، في حين مال هو على أن القائد
الأعلى ، قائلاً :

- لدى أخبار غير سارة ، بشأن الرائد (أيمن)
وفريقه .

التفت إليه القائد الأعلى في توتر شديد ، فتابع في
أسف :

- لقد توصلوا إلى وكر العدو ، ولكن شيئاً
ما هاجمهم هناك بمنتهى العنف .

سأله القائد في قلق :

- وهل ..

أجابه الدكتور (جلال) ، قبل أن يتم عبارته :

- لم ينج من الموت سوى الرائد (أيمن) ، وخبيرة
الاتصالات ، وكلاهما بحالة سيئة للغاية .

مطَّ القائد شفطيه ، مغمضاً :

- يا للخسارة !!

ثم عاد يسأل في توتر :

- وماذا عن الوكر نفسه ؟!

أجابه الدكتور (جلال) :

أربع من فرق القوات الخاصة لدينا تحاصره الآن ،
والحواسات الإلكترونية تستعد لإحاطته بشبكة
إلكترونية مقبضية عازلة .

صمت القائد الأعلى بضع لحظات ، قبل أن يزفر
متمتعا :

- أتعلم أن يفلح هذا .

أشار الدكتور (جلال) إلى المركبة الزمنية ،
مغمضا :

- لقد أفلح معها .

أتاه في هذه اللحظة صوت أحد الخبراء ، يقول :

- هذه الخزنة تحوى غزًا حافظًا ، مهمته الإبقاء
على خلايا الجسد داخلها في حالة سبات عميق .

سأله القائد الأعلى :

- هل يمكنكم التعامل مع ذلك الغاز ؟!

أجابه الخبير :

- بالتأكيد .. نحتاج إلى أمر بذلك فحسب .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلا :

- لكم هذا .

بدأ الخبراء في إفراغ الغاز من الخزنة ، بمنتهى
الدقة والحرص ، وراح القائد الأعلى يتابعهم في
اهتمام ، وهو يسأل الدكتور (جلال) :

- ترى لماذا أحضر هذا الـ ... الشيء معه ؟!

غصم الدكتور (جلال) ، وهو يتابع بدوره :

- هذا سيتوقف على نتائج الفحص .

هز القائد الأعلى رأسه ، مغمضا :

- السؤال الذي يشغلني الآن هو لماذا ؟! لماذا

أحضره معه ؟! لماذا هو بالذات ؟!

جأبه الدكتور (جلال) بهز رأسه ، دون أن

ينبس ببنت شفة ، وهو يتابع عمل الخبراء بدوره ..

كانوا قد انتهوا من فتح الخزنة الزجاجية الشفافة ،

ويدعوا في أخذ العينات اللازمة ، من سائل الجسم

وخلاياه ، في حين انشغل بعضهم في فحص البصمات

وقزحية العين ، والبشرة ..

وبينما يراقب القائد الأعلى عملهم ، دلف إلى
المكان أحد ضباط الإدارة ، واقترب منه ، هامسًا :

- سيدي .. لقد تم افتتاح الوكر .

التفت إليه القائد الأعلى ، متسائلًا في اهتمام بالغ :
- هل عثرتم عليه ؟!

هز الرجل رأسه نفياً ، وهو يجيب :

- المكان كان خالياً تماماً ، ولقد أشعل افتتاحنا له
جهاز أمن خاصاً ، نسف كل الأجهزة والمعدات دخله .

سأله القائد الأعلى في غضب :

- لماذا لم يتم استخدام الشبكة العازلة ؟!

قلب الرجل كفيه ، مجيباً :

- لقد استخدمناها بالفعل يا سيدي ، ولكن يبدو أن
الأجهزة والمعدات كانت مبرمجة بحيث يشتعل جهاز
التفجير ، فور توقف إلكترونياتها عن العمل .

قال القائد الأعلى في حدة :

- وكيف عملت إلكترونيات جهاز التفجير إذن ؟!
بدت الحيرة على وجه الضابط ، ممتزجة بالارتباك
والتوتر ، فلوّح القائد الأعلى بيده ، قائلاً في حق :

- فليكن .. لقد افتحتم المكان ، ولم تعثروا عليه ..
الأمر يسهل استيعابه ، على الرغم مما يشيره في
النفوس من غضب .

غمغم الضابط :

- معذرة يا سيدي ، ولكنني تصوّرت أن ...

قاطعته القائد الأعلى في غضب :

- فليكن .. فليكن .. هيا .. واصلوا عملكم ، وأبلغوني
النتائج أولاً فلوّاً .

اتصرف الضابط لتنفيذ الأوامر ، في حين غمغم
الدكتور (جلال) :

- لقد قسوت عليه كثيراً .. الرجال أدوا واجبهم
كما ينبغي ، ولكن خصمهم ليس هيناً .

قال القائد الأعلى :

- وهذا ما يحقنني .. إنها أول مهمة أتابعها ، منذ
تسلّمت منصبى هذا ، وأجد نفسي أمام كل هذا
الغموض .

زفر الدكتور (جلال) ، متممًا :

- نعم .. كل هذا الغموض .

عازدا يتابعان الخبراء مرة أخرى ، وهم يفتحصون ما حصلوا عليه ، وتدور بينهم مناقشات حارة ، قبل أن يتجه كبيرهم نحوهما ، ويقول في توتر :

- سيدى .. لسنا نستطيع استيعاب هذا ، ولكن النتائج كلها جاءت إيجابية ، بنسبة مائة فى المائة .

اتسعت عينا الدكتور (جلال) ، وهو يهتف :
- ولكن هذا مستحيل :

أما القائد الأعلى ، فقال فى عصبية :

- من هذا إذن ؟ ومن الآخر ؟ وأيهما من نعرف ؟!

قالها ، وهو يتجه فى خطوات واسعة سريعة نحو ذلك الجسد ، الذى تم إخراجها من الخزنة الشفافة ، واتخذ حاجباه أكثر وأكثر ، وهو يتطلع إليها فى عصبية زائدة ..

هذا لأن ذلك الجسد ، المسجى فى ركن القاعة ، كان ، طبقاً لكل الفحوص والتحليل ، هو جسد قائد الفريق ، الرائد فى المستشفى العسكرى ..

جسد (نور) ..

المقدم (نور الدين محمود) ..

★ ★ ★

بدأ الشفق يتلون بألوان الشروق الأولى ، عندما توقفت سيارة (نشوى) أمام منزل (أكرم) ، وهبطت منها هذه الأخيرة ، فى توتر ملحوظ ، وألقت نظرة فيما حولها ، قبل أن تتجه فى خطوات سريعة مضطربة إلى المنزل ، وتطرق بابها فى عصبية :

ولثوان ، بدا الموقف كله جامداً صامداً ، دون أن يستجيب أحد لطرقاتها ، حتى همت بطرق الباب مرة ثانية ، و ..

وفجأة ، انفتح الباب ، وبدت (مشيرة) على عتبة شاحبة ، ممتلئة ، زائغة العينين ، ولم تكد ترى (نشوى) ، حتى هتفت فى هلع :

- رياه ! لماذا أتيت ؟ إنه سيقتلنا جميعاً .

امتدت يد من الداخل ، تقبض على عنقها ، فأطلقت صرخة ألم ورعب ، انتفض لها جسد (نشوى) ، واتسعت عيناها فى رعب ، عندما جذبت تلك اليد (مشيرة) إلى الداخل ، فى عنف وقسوة ، قبل أن يظهر وجه صاحبها ، وهو يقول فى صرامة :

- هيا .. انخلى .

دلفت (نشوى) إلى المنزل فى سرعة ، وهى تماله :

- أين (محمود) ؟! .. ماذا فعلت به ؟!

أغلق الباب خلفها في قوة ، وهو يقول :

- ابنك بخير .

ثم استطرد في صرامة :

- ما دمت تطيعين الأوامر .

قالت في عصبية شديدة :

- أنت تعلم أنني مضطرة لهذا .

أطلق ضحكة شرسة ساخرة ، وهو يقول :

- كلنا مضطرون أيتها العبقريّة .. كلنا .

سألته مرة أخرى في حدة :

- أين (محمود) ؟!

أدار يده أمام جسده ، قبل أن يفرد ذراعه عن

آخرها ، مشيراً إلى الأريكة البعيدة ، وهو يجيب :

- هناك .

استدارت بكل كيانها ومشاعرها إلى حيث يشير ،

وانطلقت من حلقها شهقة ، عندما وقع بصرها على

ابنها ، وهو يرقد صامتاً ساكناً ، فوق تلك الأريكة ،

ثم لم تلبث أن اندفعت نحوه ، واحتضنته بكل لهفة

الدنيا ، هاتفة :

- (محمود) .. واصغري .. ماذا فعل بك هذا
الوغد ؟

قال العدو في صرامة :

- لن يمكنه إجابتك الآن .

التفتت إليه في شراسة غاضبة ، هاتفة :

- ماذا فعلت به ؟!

لوح بذراعه على نحو مسرحي ، وهو يجيب :

- إنها تلك المادة الخاصة ، ذات العنصرين

المجهولين .

اتسعت عيناها في هلع ، وهي تهتف :

- أيها الـ ..

استوقفها بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

- لا تجعلى هذا يقلقك ، فالمادة المضادة بحوزتى ..

وستحصلين عليها عند انتهاء المهمة .

أطلق غضب هائل من عينيها ، وهي تهتف :

- يا لك من حقير !

غمغت (مشيرة) في ألم :

- حقير صفة بسيطة ، إزاء ما سترينه منه ؟!

استدار إليها العدو في حركة سريعة ، هاتفا في

غضب :



ومع استدارته ، أفلت من يده قرص صغير ، ارتطم بها في
 عنف ، فاقتلعها من مكانها ..

- اخرمى .

ومع استدارته ، أفلت من يده قرص صغير ،
 ارتطم بها في عنف ، فاقتلعها من مكانها على نحو
 مخيف ، وهي تطلق صرخة ألم رهيب ، قبل أن تسقط
 مرتطمة بثلاث منزلها ، وتستقر على الأرض فاقدة
 الوعي ..

وفي ذعر ، هتفت (نشوى) :

- رباها ! .. (مشيرة) .

التفت إليها العدو مرة أخرى ، صائحاً في صرامة

مخيفة :

- قفى .

بكت ، هاتفة :

- ماذا فعلت بها !؟

أجابها في صرامة :

- ستحيا .

ثم استطرد بلهجة جافة قاسية :

- وكذلك ابنك ! لو نفذت ما سأطلبه منك .

كانت تبكي في مرارة ، وهي تقول :

- كيف أمكنك أن تعرضه لتلك المادة الرهيبة !؟

ابتسم في مخزية وحشية ، وهو يقول :
- ليس هذا فحسب .. لقد غرست في ذراعه أيضا
قنبلة .

عاد قلبها يتوقف عن الخفقان ، وهي تهتف :
- قنبلة ؟

أجابها في قسوة أكثر :

- نعم يا عبقرية الفريق .. قنبلة .. قنبلة صغيرة ،
في حجم حبة الأرز ، ولكن قوتها التدميرية تكفى
لتحويل صغيرك إلى أشلاء متناثرة ، عندما أضغط
على ذلك المفجر .

قالها ، وهو يفتح كفه ، فرأت كرة سوداء صغيرة
في راحته ، وهو يكمل بنفس القسوة والصرامة :
- كل ما يحتاجه الأمر هو ضغطه إصبع واحدة .
انهمرت دموعها أكثر وأكثر ، وهي تقول :
- أيها الـ ..

قاطعها في غضب :

- كفى .. لن نضيع الوقت في بكاء وعويل ..
هناك مهمة عاجلة ينبغي إنجازها .
هتفت في ألم :

- ألم تنه مهمتك بعد ؟ لقد دمّرت الجميع .. ماذا
تريد أكثر من هذا ؟

اتعقد حاجباه في شدة ، وهو يجيب :
- العودة .

حدقت فيه ، مرعدة :

- العودة ؟

أجاب في حدة :

- نعم .. العودة إلى الزمن ، الذي أتيت منه .. لو
أوشكت طافقي على النفاذ ، ولابد أن يعلم الرؤساء
ماذا حدث هنا .

قالت في شيء من الحذر :

- الرؤساء ؟ من أرسلك إلينا ؟

أطلقت قسوة باردة من عينيه ، وهو يقول :

- ليس هذا من شأنك .

ثم جلس على أقرب مقعد إليه ، وهو يتابع في
صرامة :

- لقد كنتم أكثر حذقا من تصورنا .. كلكم تصرفتم
بمهارة عجيبة .. من الواضح أنكم أفضل مما كنا
نظن .

سألته مرة أخرى :

- من أنتم ؟!

تجاهل سؤالها تمامًا ، وهو يتابع :

- ولكن كل شيء يمكن إصلاحه ، عندما أعود من

حيث أتيت ، ويعلم الرؤساء تفاصيل ما حدث هنا ..

هذا سيفيدهم كثيرًا ، عندما يرسلون الآخر .

رددت بنفس الدهشة الحذرة :

- أي آخر ؟!

أجاب في صرامة أخافتها :

- الشخص الذي سيعيد المهمة .

غمضت :

- تقصد الذي سيكملها ؟!

هز رأسه نفياً ، قبل أن يقول :

- بل الذي سيعيدها يا عبقرية الفريق ..

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا :

- هذه هي الفائدة الكبرى لمركبات الزمن .. كل

شيء يمكن أن يعود إلى النقطة نفسها .. سأعود من

حيث أتيت ، وسيعلم الجميع كل ما فعلتموه ..

سيذكرون ردود أفعالكم ، وأسلوب تفكيركم ، عندما

تواجهون ما واجهتموه .. وعندئذ سيمكن إرسال

شخص آخر ، لبيد المهمة نفسها منذ البداية .. من

نفس النقطة التي بدأت منها أنا ، ولكنه في هذه المرة

سيتميز بأمر يفوق كل قدراتكم .

ومال أكثر ، وهو يضيف :

- سيعلم مسبقًا كيف تفكرون ، وماذا ستفعلون ..

ثم عاد يتراجع في مقعده ، متابعًا في حزم :

- وهكذا ستصبح الهزيمة مستحيلة .. تمامًا .

جلت دموعها ، وهي تتطلع إليه في صمت ، ثم

مالت بدورها ، تسأله :

- ماذا تريد مني بالضبط ؟!

أجاب في سرعة وحزم :

- أنت خبيرة الكمبيوتر ، وعبقرية الفريق ، ويمكنك

خداع كل أجهزة الكمبيوتر ، في مركز الأبحاث ..

ليس كذلك ؟!

قالت في عصبية :

- بلى .. هل تريد بلوغ مركز الأبحاث ؟!

أجاب في صرامة :

- ليس المركز كله .. أريد بلوغ قاعة الفحص

الإلكتروني فحسب .

سألته في دهشة :

- ولماذا ؟

ظهر عليه الغضب بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- ألم أقل لك إنكم كنتم حاذقون أكثر مما ينبغي ؟

لقد نجحتم في كشف وكري ، وتدمير أجهزة

ومعداتي ، وأسرتكم مركبة الزمن .. وسيلتي الوحيدة

للعودة إلى حيث أنتمى ..

وانتقد حاجباه على نحو مخيف للغاية ، وهو

بضيف :

- وأنا مصرّ على استعادة ما يخصني .

اتسعت عيناها ، في شيء من الارتياح ، وهي

تحقق في وجهه ، ثم لم تلبث أن استدارت تنظّع إلى

ابنها ، الذي بدا كملاك نائم ، وانحدرت الدموع من

عينيها مرة أخرى ، وهي تعود ببصرها إليه ، قائلة :

- ولكن بلوغ قاعة الفحص الإلكتروني ليس بالأمر

المسهل .. سنحتاج إلى عبور أربع بوابات أمن على

الأقل .

قال في صرامة :

- كلها تعمل بواسطة كمبيوتر الأمن .

ثم أضاف في شراسة :

- الذي يمكنك اختراقه .

بدا عليها التوتر والاضطراب بعض الوقت ،

وراحت تفرك كفيها في عصبية شديدة ، قائلة :

- ولماذا لا تلجأ إلى قدرة التحوّر الجيني ، وتتجاوز

أجهزة الأمن ؟

هز رأسه في قوة ، وهو يقول :

- إنها قدرة خاصة بالآليات البيولوجية وحدها ..

لقد طورناها حتى يمكنها أن تماثل البصمات الجينية

للعينة ، التي يتم برمجتها بها ، أما نحن ، فقدراتنا

محدودة بـ ...

بتر عبارته بقتة ، وعاد الغضب يحفر خطوطه

على ملامحه ، وهو يكمل في حدة :

- وهذا ليس من شأنك .

ثم نهض من مقعده في حركة عنيفة ، وأشار إليها

في اتفعال ، قائلاً :

- هيا .. ابنتي عمك .. ليس لدينا الكثير من

الوقت .

ألقت نظرة أخرى على ابنتها ، ثم قالت :

- ومنى مستعيد إلى ابني وعيه !؟

شد قائمته ، مجيباً :

- فور تشغيل مركبة الزمن .

خفضت عينيهما ، ولانت بالصمت والدموع بعض

الوقت ، قبل أن تقول بصوت متحرج مختلق :

- اتفقنا .

أشار إلى كمبيوتر (مشيرة) ، قللاً بصرامة

مخيفة :

- هيا .

جرت قديمها جرأ إلى كمبيوتر (مشيرة) ، وجلست

أمامه صامتة بعض الوقت ، والدموع تسيل من

عينيهما كالسيل ، ثم بدأت عملها ..

في البداية ، كانت أصابعها تنتقل بين الأزرار في

بطء وتثاقل ، ثم لم تلبث أن اقدمجت في العمل ، وهي

تخترق شبكة الأمن القومى ، ثم تنفذ منها إلى شبكة

المعلومات السرية ، الخاصة بالمخابرات العلمية ، ثم

انتقلت إلى مركز الأبحاث ..

وعندما بلغت كمبيوتر الأمن ، التفتت إلى عدوها ،

قليلة :

- كيف تتصور عملية خداع كمبيوتر الأمن !؟ إنه

يراجع بصمة القرحة ، وبصمات الأصابع ، وتوزيع المسام

العرقية على البشرة ، وكلها أمور لا يمكن تزويرها .

أجابها فى صرامة :

- ولكن يمكن تغييرها .

سألته فى حذر :

- ماذا تعنى !؟

اتجه إلى جهاز التعريف ، المتصل بالكمبيوتر ،

وهو يقول :

- سنستخدم هذا الجهاز ، للحصول على بصمات

أصابعى ، وبصمة قرحتى ، وتوزيع مسامى العرقية ،

ثم ننقل كل هذا إلى كمبيوتر الأمن ، حيث نستبدل بها

بيانات هوية أى شخص آخر ، ممن يحق لهم بلوغ

المستويات الأمنية العليا .. وعندما نذهب إلى هناك ،

سيفحص الكمبيوتر بصماتى ، ويقارنها بالمسجل لديه ،

وسيجد أنها تنطبق على أحد المسموح لهم بتجاوز كل

المستويات ، مما سيجعله يسمح لنا بالدخول ، حتى

نبلغ قاعة الفحص الإلكتروني .

حنقت فى وجهه لحظة ، قبل أن تشيح بوجهها ،

متمتعة فى حلق :

- فكرة عبقرية .

غمغم :

- كل أفكارى كذلك .

ثم أشار إلى جهاز التعريف ، مستطردًا :

- هيا .

انهمكت لسبع دقائق كاملة فى نسيج كل بيتات

هويته الرئيسية ، ثم قامت بنقلها إلى كمبيوتر الأمن ،

ونفذت خطته كلها ..

وعندما انتهت من عملها ، التفتت إليه ، قائلة فى

عصبية :

- كل شيء على ما يرام .. يمكنك الذهاب إلى مركز

الأبحاث ، وستجد الطريق مفتوحًا أمامك ، دون أدنى

مشكلات أو عقبات ، حتى قاعة الفحص الإلكتروني .

أجابها فى سخرية شرسة :

- تقصدين أنه يمكننا الذهاب إلى مركز الأبحاث ..

إبنى لن أذهب وحدى أيتها العبقرية .

هتفت فى جزع :

- وماذا عن ابنى ؟!

أجابها فى صرامة :

- سيبقى هنا .. لن يصيبه مكروه ، إلا لو حاولت

التلاعب بى ..

ولتعلمى أن جهاز التفتيش يعمل فى دائرة نصف

قطرها خمسة كيلومترات ، وحتى عندما نصبح داخل

قاعة الفحص الإلكتروني ، سيظل بإمكانى أن أضغط

الجهاز ، وأنسفه فى لحظة واحدة .

هتفت مذعورة :

- لا .. لا تفعلها .. سأفقد كل ما تطلبه .

أشار بيده ، قائلاً فى صرامة :

- هيا بنا إذن .. قلت لك : ليس لدينا الكثير من

الوقت .

ولم تجب (تشوى) ..

لم تجب ؛ لأنها كانت تحدق فى يده ، التى أشار

بها ، وقد سرت فى جسدها ارتجافة قوية ، مع

قشعريرة باردة كالثلج ..

ففى اللحظة ، التى سقط فيها الضوء على يده ..

ولثانية واحدة أو أقل ، خيل إليها أن تلك اليد

ليست بشرية ..

ليست كذلك على الإطلاق .

كل شيء كان يوحى بأن المهمة فاشلة لا ريب ..
صحيح أن المخابرات العلمية قد سيطرت على وكر
ذلك العدو الغامض ، واستولت على المركبة الزمنية ،
التي جاء بها ، إلا أنها لم تنجح بعد في العثور عليه ،
أو حتى تحديد موقعه ..

ثم إن الغموض ما زال يحيط بالأمر كله ..
وعشرات الأسئلة ما زالت تملأ الرعوس ، دون
تفسير منطقي ، أو جواب شاف ..

من هو ذلك العدو الغامض ؟

إلى أية جهة ينتمي ؟

من أرسله إلى حاضرنا ؟

ولماذا ؟

ثم إن ذلك الجسد ، الذي أحضره معه ، يفجر
بدوره بركاتاً من التساؤلات ..

إنه جسد بشري ، يحمل كل صفات وسمات جسد
(نور) ..

نفس نوع الأنسجة ..

بصمات الأصابع ..

بصمة القرحة ..

وحتى بصمته الجينية !!

فما الذي يمكن أن يعنيه هذا ؟

أهو جسد (نور) ، كما سيصبح عليه في المستقبل ؟

أو بمعنى أكثر دقة .. أهى جثته ؟

ولو أنها كذلك ، فلماذا أحضرها تلك للشخص معه ؟

ما الذي ينوئ فعله بها بالضبط ؟

أية خطة شيطانية يسعى لتنفيذها ؟

وهذا يقود إلى سؤال آخر ، بالغ الأهمية
والخطورة ..

ما الذي يخفيه لنا مستقبلنا في ظل هذا ؟

على أية صورة سنصبح ، حتى نسعى لتدمير جزء
من ماضينا ، ولمحة من تاريخنا ، على هذا النحو ؟

كالت كل هذه الأسئلة تعربد في رأس القائد
الأعلى ، وهو يتطلع إلى عملية فحص ذلك الجسد ،

على شاشة كبيرة في حجرة مكتبه ، عندما اتبعث
صوت جهاز الأمن الخاص ، وهو يقول :

- الدكتور (جلال) يطلب الإذن بالدخول .

رفع القائد الأعلى رأسه ، متسائلاً .

- هل تم التيقن من هويته ؟!

أتاه ذلك للصوت الآلى ، يجيب :

- مرتان ، طبقاً للأوامر الأخيرة .

مط القائد الأعلى شفتيه ، وزفر فى حرارة ، قبل أن يشير بيده ، مغمضاً :

- فليكن .. دعه يدخل .

انفتح الباب فى هدوء ، وعبره الدكتور (جلال) ،

وهو يقول ، ملوحاً بورقة فى يده :

- الأطباء والخبراء البيولوجيون وضعوا تقريرهم .

غشم القائد الأعلى ، فى لهفة متوترة :

- حسن .

أجاب الدكتور (جلال) ، وهو يضع التقرير أمامه :

- إنها ليست جثة كما تصورنا .. إنها أنسجة حية

تماماً .. كل المعدلات الحيوية نشيطة ومنظمة .

هتف القائد الأعلى ، فى دهشة منزعة :

- أنتهى أن تلك الـ ... أقصد ذلك الشيء حتى ؟!

أوما الدكتور (جلال) برأسه ، قاتلاً :

- بالضبط .

نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه ، فى توتر

شديد ، وهو يقول :

- ولكن هذا مستحيل ! لا يمكن أن يكون قد أحضر

(نور) نفسه من المستقبل .. أنت تعرف أولى قواعد

المفر غير الزمن .. لا يمكن أن يتواجد شخص ما

مرتين ، فى الزمن نفسه ، إلا لو كان لم يولد بعد .

أشار الدكتور (جلال) بسبابته ، قاتلاً فى حزم :

- الأمر لم يحسم بعد .

قال القائد الأعلى فى حدة :

- وما الذى تنتظره لحسمه ؟!

أجابه بنفس الحزم :

- استكمال الفحوص .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

- أما زالت هناك فحوص أخرى ؟!

أجابه الدكتور (جلال) :

- بالتأكيد .. لقد انتهت خبراؤنا من إجراء كل

الفحوص الخارجية ، وسيبدءون فى إجراء الفحوص

الدخالية .. فحوص الأشعة السينية ، والموجات فوق الصوتية ، والأشعة المقطعية ، والرنين المغناطيسي ، وغيرها ..

المهم أننا لن نتوقف ، قبل أن نراجع أدق التفاصيل لدينا عن المقدم (نور) ، على ذلك الجسد ، ونحن نبذل قصارى جهدنا لإجاز هذا ، قبل أن ..

بتر عبارته ، ولاذ بالصمت لحظة ، وكأنما يتحدث عن التعبير المناسب ، ثم لم يلبث أن قال فى توتر :
- قبل أن يستيقظ !

سرت تشعيرة فى جسد القائد الأعلى ، وهو يهتف :
- يستيقظ !؟

أوما الدكتور (جلال) برأسه إيجاباً ، وقال :
- بالطبع .. إنها ليست جثة ، كما أشرت فى البداية .. بل هى كيان حى ، فى حالة سبات اصطناعى مؤقت ، ومن الطبيعى أن تنتهى هذه الحالة فى أية لحظة ، فيستعيد وعيه .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وغمغم ، وكأنما لم يكن يتوقع هذا قط :

- يا إلهى !

أشار الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

- يمكننا بالطبع أن نطيل فترة سباته الصناعى هذه ، ولكن الخبراء لم يحبذوا هذه الفكرة ؛ إذ إننا نرغب فى إيقاظه ، عندما ننتهى من إجراء كل الفحوص ؛ فربما قادنا استجوابه إلى كشف كل الغموض .

عض القائد الأعلى شففته السفلى ، وراح يهز رأسه ، فى محاولة لتفهّم واستيعاب الموقف ، قبل أن يرفع رأسه إلى الدكتور (جلال) ، متسائلاً :

- هل تلقيت تلك الرسالة !؟

أوما الدكتور (جلال) برأسه إيجاباً مرة أخرى ، وغمغم :

- نعم .. ولكننى أشعر بقلق بالغ بشأنها .

أجابه القائد الأعلى فى صرامة :

- أنا أيضاً شعرت بهذا القلق ، ولكننى درست الأمر جيداً ، ووجدت أن أفضل ما نفعله .. بل وربما كانت فرصتنا الوحيدة ، هى أن ننفذ كل ما طلبوه .

تنهّد الدكتور (جلال) ، قائلاً :

- ولكن ماذا لو تسبّب هذا فى خسارتنا لكل شيء .

التقى حاجبا القائد الأعلى بعض الوقت ، ثم قال في صرامة :

- ألم تتخذ كل الإجراءات اللازمة ؟!

أجابهُ الدكتور (جلال) في القضاة :

- بلى .

أجابهُ القائد الأعلى :

- نفذ ما طلبوه إذن .

تهدد الدكتور (جلال) ، مغمفاً :

- بالتأكيد .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى أتى صوت أحد الأطباء ،

عبر جهاز الاتصال المحدود ، وهو يقول :

- نستعد الآن للفحص بالأشعة السينية .

اعتدل الدكتور (جلال) ، قفلاً في حزم :

- على بركة الله .

قلها ، وتعلق بصره ، وبصر القائد الأعلى ،

بالشاشة ، التي تنقل ما يدور في قسم الفحوص

الطبية ، حيث أرقد الأطباء ذلك الجسد المجهول

لـ (نور) الآخر على منضدة الفحص ، التي تحركت

فوقها شاشة زيتية اللون ، حتى استقرت فوق منطقة

الصدر والبطن منها ، ثم ضغط أحد الأطباء زر التشغيل ، وهو يرتدى معطفاً وقناعاً من الرصاص ، طبقاً للاحتياطات المعتادة (*) ، وقال :

- الفحص بالأشعة السينية يبدأ الآن .

تألفت الشاشة الفيروزيّة ، وبدأ عليها رسم لما

يحويه ذلك الجسد في دخله أو ...

وفجأة ، فتح الرائد عينيه ..

ثم اعتدل بحركة حادة ..

ومع اعتداله المباشرة ، تراجع كل الأطباء على

نحو مذعور ، وهتف الدكتور (جلال) :

- رياه ! .. لقد استيقظ .

واستدار ذلك الشخص ، يتطلع إلى آلة المراقبة ،

التي تنقل صورته إلى حجرة القائد الأعلى ، وكأنما

التقطت أذناه هتاف الدكتور (جلال) ..

ونقلت الشاشة صورة مكبرة لوجهه ..

(*) موجات الأشعة السينية (أشعة X) تسبب للمعرض عدداً من الأمراض الإشعاعية . على رأسها الأورام السرطانية وسرطان الدم ، وهي لا تفتقر معدن الرصاص ، كغيرها من أنواع الأشعة الأخرى .

كانت ملامحه نسخة طبق الأصل من (نور) ..
ولكن ذلك الانفعال ، الذى ارتسم على وجهه ، لم
يكن يتناسب قط مع شخصية (نور) ..
لقد كان انفعالا يحمل الشر ..
كل الشر ..

وفى نفس اللحظة ، تطلق أزيز قوى ، من جهاز
فحص الأشعة السينية ، وارتسمت على شاشة
الكمبيوتر صورة لما تم التقاطه ، من أعماق ذلك
الشخص ..

واتسعت عيون الجميع ، فى ذعر وذهول ..
فعلى الرغم من الخلايا التى تم فحصها ، ومن
النتائج الإيجابية لفحص بصمات الأصابع ، والقرحية ،
وحتى البصمة الجينية ، كان فحص الأشعة السينية
يعكس صورة لا يمكن أن تتفق مع أى مكان بشرى
طبيعى ..

صورة لمجموعة من الأجهزة الإلكترونية ،
والدوائر الدقيقة للغاية ..
وبحركة حادة ، استدار الآلى شبيه (نور) ، يلقي
نظرة على الصورة ، التى تم التقاطها لأعماقه ..

الصورة التى كشفت هويته الحقيقية ..
هويته كشخص آلى بيولوجى متطور ..
ولأن برنامجه شديد التطور والتعقيد ، ويعتمد على
درجة مرتفعة من الذكاء الصناعى المستقبلى ، فقد
أدرك على الفور أن أمره قد اتكشف ..
وأن المهمة ، التى جاء من أجلها ، أيا كانت ، قد
فشلت ، قبل أن تبدأ ..
لذا ، فقد تحرك فى سرعة مدهشة ، فوثب من
منضدة الفحص ، ولطم أقرب الأطباء إليه لطمة قوية ،
ألقت المسكين ثلاثة أمتار إلى الخلف ، ثم استزع
ذراعا معدنية ، من أقرب جهاز إليه ، وهوى به على
رأس طبيب آخر ..

ووثب القائد الأعلى من مقعده ، هاتفا :
- رجال الأمن .. أوقفوه .. أوقفوه بأى ثمن .
وإثر هتافه ، اندفع رجال الأمن إلى حجرة الفحص
الطبي ، وارتفعت مسدساتهم الليزرية فى وجه ذلك
الشخص ، الذى انقضّ عليهم بدوره ..
وانطلقت خيوط الأشعة ..
وارتطمت بجسده ..

وتمزقت الخلايا الحية ، التي تغطي ذلك الجسد ..
وتنتشرت الدماء في كل مكان ..
ولكن هذا لم يوقفه ..
لقد واصل تقضاضته ، وضرب مسدس أحد
الرجال ، بتلك الذراع المعدنية ، ثم هوى على رأسه
بها ، واستدار يواجه الثاني ..
وقفز أحد رجال الأمن ، بكل جهاز الأشعة بكل
قوته ..
ودارت شاشة الجهاز حول محورها ، مع عصف
الضربة ..
وارتطمت برأس ذلك الشخص ..
واسقطته أرضاً ..
ومع سقوطه ، انتهالت عليه خيوط الأشعة من كل
صوب ..
سيل من أشعة الليزر ، اتهمر على الآلى البيولوجى
كالمطر ، فتفجّر شيء ما خلف أذنه ..
واشبعّت شرارة قوية ، من جزء متمزق في قاعدة
عنقه ..
وتفجّرت الدماء في غزارة أكثر وأكثر ..

ولكن خيوط الليزر لم تتوقف ..
لقد استمرّ اتهمارها كالمطر ، والآلى يحاول
النهوض في صعوبة ..
ثم مال عنقه على نحو عجيب ، وارتطم بكتفه
الأيسر ..
ومع الدفعة التالية من خيوط الأشعة ، سقط على
ظهره كالحجر ، وانطلقت منه شرارات كهربية
عنيفة ..
وعلى الرغم من أن كل شيء كان يؤكد أن أمره قد
انتهى ، واصل رجال الأمن غمره بأشعة مسدستهم
القائلة لدقيقتين أخريين ، والقاتل الأعلى يهتف ، عبر
جهاز الاتصال في مكتبه :
- أوقفوا إطلاق النار .. لقد انتهى الأمر .. لقد
انتهى الأمر ..
وأخيراً ، أطاعه رجال الأمن ..
وتوقف إطلاق النار ..
ولثانية أو ثلاثتين ، راح الجميع يحقّقون في ذلك
الشيء المسجى أمامهم ..
رجال الأمن ..

والأطباء ..

وحتى الدكتور (جلال) والقائد الأعلى ، من حجرة
هذا الأخير ..

ثم فجأة ، اشتعلت النيران في الجسم الآلى ..
اشتعلت في كل جزء منه ، في سرعة بالغة ،
وراحت تلتهم الخلايا الحية المحيطة به ، ورائحة
شواء مقرزة تنبعث منها ..

وإثر النيران والدخان ، انطلقت أجهزة الإطفاء
الآلية تعمل ..

وخبت النيران ..
خبت ، بعد أن التهمت كل ما يمكن فحصه ، من
ذلك الآلى البيولوجى ..
كالمعتاد ..

ومرة أخرى ، هبط صمت مهيب ، رهيب ، ثقيل
على المكان ..

وحتى في حجرة القائد الأعلى ..
وفي وقت واحد تقريباً ، وباتفعال يصعب وصفه ،
راح الجميع يحذقون في تلك البقايا الذائبة المحترقة
أمامهم ..

البقايا ، التي كانت منذ لحظات قليلة ، نسخة طبق
الأصل ، من أشهر رجل مخابرات علمية في العالم ..
البقايا ، التي ذابت واحترقت ، تاركة خلفها جبلاً
من الغموض ، وسؤالاً بلا جواب ..

لماذا أتى بها شخص ما إلى حاضرننا ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

★ ★ ★

« (نشوى) .. عضو فريق (نور) ، وبصحبتي
الدكتور (ممتاز) ، رئيس قسم الخلايا .. » .
نطقت (نشوى) العبارة ، عبر البوق الخاص
بجهاز الفحص الأمنى ، عند مدخل المبنى التريسي ،
لمركز الأبحاث العلمية ، فاتبعت من الجهاز صوت
آلى ، يقول :

- مرحباً يا سيّدة (نشوى) .. مرحباً يا دكتور
(ممتاز) .. فليقف كل منكما فوق أحد المربعات
الزرقاء ، ويتطلع إلى الدائرة الحمراء أمامه مباشرة .
لطاعت (نشوى) الأمر ، وكذلك فعل ذلك الشخص ،
وما إن وقفا فوق المربعين الأزرقين ، حتى انبعثت
خيوط من أشعة الليزر ، من الدائرتين الحمراءوين ،

وراحت تتحرك فوق جسديهما ، وتراقص على
فرحيتهما ، في سرعة ودقة مدروستين ..

وتم التقاط صور بصمات أصابعهما ، وفرحيتهما ،
وتوزيع مساهمهما العرقية ، وراح كمبيوتر الأمن يراجع
كل هذا على ما تم تسجيله في بياناته الرئيسية ..

ولأن البيانات الحقيقية للدكتور (ممتاز) قد استبدلت
بها - بواسطة (نشوى) نفسها - بيانات ذلك الشخص ،
فقد تبعث ذلك الصوت الآلى ، يقول :

- تم التحقق من شخصيتكما .. مرحبًا بكما في
مركز الأبحاث .

وانفتحت البوابة الرئيسية أمامهما ، فعبراها في
هدوء ، وما إن أغلقت خلفهما ، وبدء سيرهما عبر
ممر طويل ، حتى قال ذلك العدو ، في سخرية متوترة :

- ألم أقل لك : إنك عبقرية الفريق ؟ لقد مرّ كل
شيء بسلام تام .

قال في عصبية :

- إننا لم نعبّر سوى البوابة الرئيسية .. ما زالت
أماننا ثلاث بوابات أخرى ، قبل أن نبلغ قاعة الفحص
الإلكترونى .

قال في صرامة :

- سنعبرها كلها ، وإلا ...

نطق كلمته الأخيرة ، وهو يرفع يده إليها ، مع تلك
الكرة السوداء في راحته ، فقالت في حنق وحدة :

- أعلم هذا .. أعلم هذا .

لم تواجههما أية صعوبات ، عند البوابتين التاليتين ،
حتى أصبحا أمام بوابة قاعة الفحص الإلكتروني ،
فصائلته في عصبية :

- آلت وثق من أن مركبتك هنا ؟!

أجابها في صرامة غارقة في الانفعال :

- إنه المكان الوحيد ، الذى يمكن أن تنقلوها إليه ..

ألم أقل لك : إننى قد درست كل ما يتعلق بكم ؟!

قالت في عصبية :

- فليكن .. سندخل القاعة ، على مسئوليتك الشخصية .

ورفعت يدها لتضغط زر جهاز الأمن ، إلا أن
أصابعه قبضت على معصمها فجأة ، وهو يقول في
حدة :

- انتظري .

وشهقت (نشوى) ..

وانطلقت من حلقها آهة ألم مذعورة ..
فتلك الأصابع ، التي أحاطت بمعصمها ، كانت قوية
كالفلاذ ..

وباردة كالثلج ..
وفي هلع ، حنكت في وجه خصمها ، هاتفة :
- ماذا حدث ؟! لقد أطعت أوامرك .
قال في صرامة :

- سلى الكمبيوتر : هل القاعة خالية أم لا ؟!
قالت في ألم :

- إنها خالية .. لقد تأكدنا ، قبل أن ...
قاطعها في صرامة مخيفة :
- تأكدى مرة أخرى .

حاولت أن تسترع معصمها من يده ، وهي تقول
مرتجفة :

- سأفعل .. سأفعل .

ترك معصمها ، وهو يشير إلى الكمبيوتر الخاص
بها ، فرفعه إليها ، وراحت تضغط أزراره في
عصبية ، وراجعت البيانات على شاشته ، قبل أن
تقول :

- إنها خالية .

ألقي نظرة على الليقات بدوره ، قبل أن يقول :
- هيا .

ضغطت زر الأمن ، وهي تقول بصوت مرتجف :
- (نشوى) .. عضو فريق (نور) ، والدكتور
(ممتاز) ، رئيس قسم الخلايا .
ومرة أخرى ، خضع كلاهما لإجراءات الأمن
المعقدة ..

فحص بصمات الأصابع ..

وبصمة القزحية ..

وتوزيع المسمام العرقية ..

وأخيراً تلك الهوية الزائفة ، التي زودته بها
(نشوى) ، عبر جهاز كمبيوتر خاص .

هوية تحمل اسم وصورة الدكتور (ممتاز) ..

وفي النهاية ، انبعث صوت ألى ، من جهاز الأمن ،
يقول :

- مرحباً بكما ، في قاعة الفحص الإلكتروني .

واتفتحت البوابة الكبيرة للقاعة ، لتكشف عن
المركبة الزمنية ، التي استقرت وسط القاعة الخالية ..

وفى بطنه حذر ، دلف العدو الغامض إلى القاعة ،
وراح يتلفت حوله فى توتر شديد ، وهو ينتزع كرة
بلورية من حزامه ، ويمسك بها فى تحفز ..
وتبعته (نشوى) ، وهى تغغم :
- الآن ، وقد بلغت هدفك .. لم لا ...
قاطعها بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :
- اصمتى .

والتقى حاجباه على نحو عجيب ، فى حين انتصبت
أذناه ، ثم راحتا تدوران حول محورهما ، على نحو
جعل (نشوى) تحدى فيها ذاهلة مذعورة ، وقد خُيل
إليها أنها تراقب نلبًا يهدف للسمع ، لكشف ما يحيط
به ، وسط غابة كثة الأغصان (*) .

وللمرة الثانية ، منذ التقت به ، لم يبد لها خصمها
بشرىً على الإطلاق ..

كل شيء فى ملامحه ، كان يشبه البشر ..

(*) الآن البشرية مزودة بأعصاب حركية ، تتيح لها أن
تتحرك فى أى اتجاه ، ليرى الإنسان سمعه ، ويركز بوق أذنه ،
ولتلك القدرة يمتلكها أى إنسان ، إلا أن عدم استخدامها ، فى ظل
التطورات الحديثة ، جعلها تتراجع وتختفى ، وعلى الرغم من هذا
فما زال البعض يمتلك هذه القدرة حتى الآن .

كل شيء ..

ولكن شيئاً ما ، فى طبيعته أو أعماقه ، جعلها
تشعر أنه ليس كذلك ..

شيء لم تلتقطه عيناها ..

ولما التفتته أعماقها ..

تلك الشغافية المدهشة ، التى تتمتع بها ، أدركت
ما يخفيه ..

وبالذات فى تلك اللحظة ، وهو يتحرك فى حذر
زائد ، متجهًا إلى مركبته الزمنية ، وعيناه وأذناه
تتحركان فى كل الاتجاهات ..
حتى بلغ المركبة ..

ولثوان ، راح يتحسس جسمها الخارجى ، فى بطنه
وحذر زائدين ، ثم لم يلبث أن همهم بكلمات عجيبة ..
كلمات لم تفهم حرفًا واحدًا منها ..

ومع آخر تلك الكلمات ، ضغط زرًا فى حزامه ،
فأضىء مصباح كبير ، أعلى باب مركبة الزمن ،
تألفت معه عينا ذلك الشخص ، وهو يقول فى ظفر :
- إنها تعمل .

انتفض جسدها فى توتر زائد ، وقالت فى عصبية :

- أهذا ما كنت تسعى إليه ؟!

تألفت عنه أكثر ، وهو يجيب :

- بالتأكيد .

لوحت بذراعها ، قائلة في حدة :

- امنحني ما أسعى إليه إذن .

أطلت من عينيه نظرة ساخرة ، وهو يقول :

- ما تسعى إليه ؟!

أجابته في عصبية :

- نعم يا هذا .. أريد المادة المضادة : لإيقاف ابني ،

وجهاز التفجير الـ ...

قاطعها في سخيرة شرسة :

- المادة المضادة ؟!

ثم انطلقت من حلقه صرخة عالية مجلجلة ، هوى

معها قلبها بين قدميها ، قبل أن يقول في صرامة :

- هل تعلمين ما الذي يمكن أن يحدث ، لو منحتك

تلك المادة المضادة ، بعد أن محوت أثرها من كل

ما لديكم ؟! إنك ، وبكل بساطة ، لن تستخدمها لإيقاف

ابنك فحسب ، وإنما لإسعاف الجميع .. الفريق كله ..

هل تصوّرت أنني ساذج وغبي إلى هذا الحد .

أجابته في حدة :

- سنتوصل إلى تلك المادة المضادة ، إن عاجلاً أو
أجلاً .

قهقه ضاحكاً مرة أخرى ، وهو يقول :

- وحتى لو عجزتم عن هذا ، سيستعيد الجميع

قدرتهم على الحركة ، خلال أسبوع على الأكثر ،

عندما يزول كل أثر للمادة الأساسية من الدم .

غمخت مبهوته :

- حقاً ؟!

ثم استطردت في حدة :

- أعطني جهاز التفجير هذا إذن .

قال في سخيرة :

- جهاز التفجير ؟! هل تعين أن أعود من حيث

أتيت ، دون أن أظفر بأحدكم .

صرخت :

- أيها الحقير .. لقد فعلت كل ما طلبته !

أجابها في شراسة :

- كان هذا لطيفاً منك للغاية .. سأضيفه إلى ما كنتيه

تاريخكم عنكم .. سأكتب أنني جعلتك تفعلين كل

ما أردت ، ثم نسفت رأسك ، ومسحت ابنك في لحظة
ولحده .

اتسعت عيناه في ذعر ، وهي تهتف :

- لا .. لن يمكنك أن تفعل هذا .

تألقت عيناه في وحشية عجيبة ، وهو يقول :

- حقاً ؟؟ اسمحي لي إذن بإثبات العكس تماماً ..

دعينا نجر تعديلاً بسيطاً على الخطبة .. ماضى
المفجر أولاً ، لأسحق ابنك سحقاً ، وبعد أن أتأكد من
أن قلبك قد انفطر من أجله ، سأريحك من عذابك ،
وأسف رأسك بكل بساطة .

صرخت بكل ذعر الدنيا :

- لا .. إلا (محمود) .

أطلق ضحكة وحشية أخرى ، قبل أن يرفع يده ،
قائلاً :

- قولى وداعاً لولدك الوحيد يا عبقرية الفريق .

ومع آخر حروف كلماته ، ضغط الكرة السوداء ..

بكل قوته ..

وشراسته ..

وانتصاره .

★ ★ ★



تألقت عيناه في وحشية عجيبة ، وهو يقول :

- حقاً ؟؟ اسمحي لي إذن بإثبات العكس تماماً ..

٩- الختام ..

لم يكد الدكتور (ياسر) يوقف سيارته ، أمام إدارة الاتصالات الفضائية ، فى تلك الساعة المبكرة من الصباح ، التى لم تكد تشرق فيها الشمس ، حتى وثب منها فى عجلة ، وألقى التحية على حارس المبنى فى توتر ، قبل أن يسأله :

- أهم بالداخل ؟!

أجابه الحارس ، وهو يفسح أمامه الطريق :

- الجميع بالداخل .

لم يبد على الدكتور (ياسر) أنه قد سمعه ..
أو أنه يهتم حتى بسماع الجواب ، فأكمل الحارس لنفسه :

- فى هذه الساعة المبكرة .

ثم هز كتفيه ، وكأنما الأمر لا يعنيه ، وعاد يتطلع إلى الشفق ، وإلى قرص الشمس الأحمر الكبير ..
أما الدكتور (ياسر) ، فقد اتجه مباشرة إلى حجرة رئيس الإدارة ، التى اجتمع فيها كل علماء الإدارة

تقريباً ، يراجعون لوحة كبيرة أمامهم ، وما إن لمحوا أولهم ، حتى هتف فى توتر كبير .

- لماذا تأخرت يا رجل ؟! إننا نحتاج لخبرتك فى هذا الأمر .

أجابه الدكتور (ياسر) ، وهو يتجه إلى اللوحة فى لهفة :

- لقد هرعت إلى هنا فور اتصالكم .. أخبرونى .. هل التقطتم إشارة جديدة حقاً ؟!

أشار رئيسه إلى اللوحة أمامه ، وهو يجيب :

- ما رأيك أنت ؟!

لم يجب (ياسر) ، ولم ينبس أحد من الآخرين ببنت شفة ، وهم يراقبون فى اهتمام ، وهو يفحص الإشارات مرة ، وثانية ، وثالثة ، قبل أن يرفع عينيه إليهم ، قائلاً فى اضطراب :

- إنها إشارة منتظمة بالفعل .

ثم تتحنح ، مضيفاً :

- وهى ليست منعكسة .

سأله رئيسه فى توتر :

- هل تعنى أن هذه الإشارة واردة من الفضاء بالفعل ؟!

أوما الرجل برأسه إيجاناً ، وقال :
- ومن نجم بعيد أيضاً .

قال رئيسه فى اتفعال :

- وكيف أمكنك تحديد هذا ؟؟

هزّ الدكتور (ياسر) كتفيه ، وهو يجيب :

- هذا يرتبط بطول الموجة ، وتلك الترددات
الصغرى حولها ، وهذا المنحنى الذى ..

قاطعه رئيسه فى اتفعال :

- المهم أنك واثق مما تقول .

تنحج الدكتور (ياسر) ، قائلاً :

- كان هذا موضوع رسالة الدكتوراة الخاصة بى ،
عندما ..

قاطعه رئيسه مرة أخرى ، وكأنما ليس لديه
الوقت ، للدخول فى العديد من التفاصيل :

- وماذا عن فحواها ؟؟

حنقّ للدكتور (ياسر) فى وجهه لحظة ، وكأنما
يستنكر السؤال ، قبل أن يقول :

- هذا يحتاج إلى بعض الوقت .

سأله رئيسه بنفاد صبر :

- كم من الوقت ؟؟

هزّ كتفيه فى حيرة ، فغمغم أحد زملائه :

- سينجزها فى أسرع وقت ممكن .. إنه عبقري

فى هذا المضمار .

دفع رئيسهم اللوحة نحو الدكتور (ياسر) ، وهو
يقول :

- حسن .. أبذل قصارى جهدى إننى .

التقط (ياسر) اللوحة ، وهو يغمغم فى اهتمام :

- سأفعل .

هتف رئيسه :

- وفى أسرع وقت .

ارتسمت ابتسامة مرتبكة ، على شفاه الدكتور

(ياسر) ، وهو يحمل اللوحة ، قائلاً فى خفوت :

- بإذن الله ..

و غادر الحجرة مع فريق من زملائه ، فيما عدا

واحداً منهم ، بقى فى حجرة الرئيس ، الذى قال فى

عصبية :

- إنها مصيبة .. لا يمكننا أن نحتمل محاولة غزو

فضائى آخر .

قال الرجل ، محاولاً تهدئته :

- ليست لدينا أية مؤشرات ، توحى بأنها محاولة
غزو فضائي آخر .. إنها مجرد إشارات ، لم يتم
تفسيرها بعد .

غمغم رئيسه :

- لا بد أن نفترض الأسوأ .

ثم زفر بكل ما فى صدره من مشاعر وانفعالات ،
قبل أن يضيف :

- على الأكل ، ستكون لدينا عندئذ فرصة للمقاومة .
نطلقها ، وكل خلية فى جسده ترتجف ..
كل خلية ..
بلا استثناء ..

★ ★ ★

بكل قوته ، ضغط العدو الغامض تلك الكرة السوداء
فى راحته ..
بلا تردد ..
أو رحمة ..

ويكل ذعرها ، صرخت (نشوى) ، وهتفت باسم
ابنها ، و ..

« اطمئنى يا (نشوى) .. إنه بخير .. »

اتطلعت العبارة فجأة ، من ركن القاعة ، فانتفض
جسد (نشوى) فى قوة ، واستدارت إلى مصدرها
فى لهفة ، هاتفة .
- حقاً ؟

واتخذت حاجبا العدو فى شدة ، عندما برز (نور)
من خلف مائدة فحص كبيرة ، وهو يحمل مسدسه
الليزرى ، قائلاً :

- نعم يا (نشوى) .. لقد ألقناه ، واستخدمنا نفس
المادة المضادة ، التى أنليت بتركيبتها ، تحت تأثير
التنويم المغناطيسى ، قبل أن تذهبنى لمقابلة هذا
الوغد .. نفس المادة التى أعادتنا إلى ما كنا عليه ..
أطل غضب الدنيا من وجه العدو وصوته ، وهو
يلتفت إليها ، قائلاً :

- إذن فقد فعلتها .. خدعتنى أيتها الحقيبة .
وارتفعت كرتة القاتلة نحوها فى سرعة ، وهو
يصرخ :

- وستدفعين حيلتك ثمناً لهذا .

قبل أن يضغط الكرة ، دوى صوت طلق نارى فى
القاعة ، واتطلعت صرخة قوية من خلق العدو ،

عندما أصابت رصاصاً صلبة بركته ، وأطاحت بها بعيداً ، مع صوت (أكرم) ، وهو يقول :
- ألم تسمع أيها الغبي .. لقد أعادتنا المادة المضادة جميعاً .

أدار العدو عينيه في سرعة عصبية إلى (أكرم) ، الذي برز من ركن آخر من القاعة ، حاملاً مسدسه التقليدي ، وغضب الدنيا يرسم على ملامحه ، وقيل أن يحدث فيه ، سمع صوت (سلوى) ، من ركن ثالث ، تقول :

- و (محمود) الصغير يجلس الآن آمناً ، مع اثنين من أقوى رجال أمن الإدارة ، داخل حجرة خاصة عائلة ، لا تفلذ إليها أية نوعية من الموجات أو الإشارات ، مهما بلغت قوتها .

نقل العدو بصره بين ثلاثتهم ، في عصبية بالغة ، قبل أن يهتف :

- أين خامسكم إذن ؟! ألم يستعد وعيه مثلكم ؟!

أشار (نور) بسبائته إلى آلة المراقبة ، قائلاً :

- إنه هناك ، في مكتب القائد الأعلى ، ليراقبك معه ، ومع الدكتور (جلال) ، في محاولة لتحليل شخصيتك ، ودراسة كل ردود أفعالك .

نقل بصره بينهم مرة أخرى ، في نفس الوقت ، الذي ارتفع فيه صوت القائد الأعلى ، عبر أجهزة الاتصال الداخلية ، وهو يقول :

- أهنتك يا (نور) .. لقد انتصر فريقك في عملية أخرى .

هتف العدو في سخرية :

- انتصر ؟! إنكم لم تنتصروا بعد يا هذا .. حتى ولو حاصرتهموني من كل الجهات .

قال (أكرم) في صرامة :

- كفك مكابرة يا هذا .. اعترف بهزيمتك .

انطلقت قهقهة عالية مجلجلة ، من بين شفطي العدو الغامض ، وهو يقول ساخرًا في شراسة :

- هزيمتي ؟! لن يمكنكم هزيمتي أبدًا أيها السادة .. هذا أمر يفوق قدراتكم وإدارتكم بكثير .

ثم تعقد حاجباه في شراسة مخيفة ، وهو يضيف :

- بل على العكس .. نحن الذين سنهزمكم ..

سنحرككم دحرًا .. كل ما بنيتموه من حضارة وتقدم سيؤول بضربة واحدة .

وارتفعت قبضته تلوح في الهواء ، مع صرخته المجنونة :

- نحن سننتصر فى النهاية .

ساله (نور) فى توتر :

- ومن أنتم بالضبط ؟!

قهقه العدو ساخرًا مرة أخرى ، وقال فى شراسة :

- من نحن ؟! ياله من سؤال ؟! الزمن وحده

سيجعلك تعرف من نحن يا هذا .. اللحظة التى

سينتهى فيها تاريخكم ويبدأ تاريخنا ، ستجعل الكون

كله يعلم من نحن .

ثم أشار إلى (نور) فى غضب وحشى ، مستطردًا :

- حتى مقاومتك العنيفة لن تجدى ، ما دعنا قد

استولينا على مركبتكم الزمنية .. كل الزمن أصبح فى

قبضتنا ..

ودارت عيناه فى وجوههم على نحو رهيب ، وهو

يتابع :

- حتى لو فشلنا فى تحطيمكم فى هذا الزمن ،

سينطلق فريق آخر إلى زمن آخر .. ربما نسعى

لقتلكم فى مهودكم .. أو حتى قتل آبائكم وأمهاتكم ،

قبل أن تولدوا .. بل ربما نسعى إلى بدء التاريخ ،

وننسف جذوركم الأولى .

وارتفعت ذراعاه فى الهواء ، وهو يصرخ :

- لن تهزمونا أبدًا .

هتف (أكرم) فى عصبية ، وهو يسند مسنده إليه :

- ما الذى يقوله هذا الوغد يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى توتر بالغ :

- ألم تفهم بعد يا (أكرم) ؟! هذا الواقف أمامك

ليس مستقبلًا فحسب .. إنه غير آدمى أيضًا .

حنق (أكرم) فى ذلك الشخص فى ذهول ، وهو

يرتد :

- غير آدمى .

أجابه (نور) فى حزم :

- نعم يا (أكرم) .. غير آدمى .. إنه واحد من

جنس فضائى آخر ، سعى لغزو الأرض ، وواجه

مقاومة عنيفة ، يقودها فريقنا على الأرجح ..

مقاومة هددت بفشل الغزو ، مما قاد الغزاة إلى وضع

هذه الخطة الجهنمية .

تعتقد حاجبا العدو الغامض ، وهو يستمع إليه فى

انتباه واهتمام شديدين ، فتابع (نور) :

- قاتل محترف لديهم ، يعود إلى زمننا ، ويصنع

لغزًا غامضًا ، يثير حيرتنا وارتباكنا ، ومن خلال هذا ،

وفي أثناء الشغل الجميع بالغز الزائف ، ومع سقوطنا جميعاً صرعى ذلك للشلل العجيب ، يتم الانتقال إلى الجزء الرئيسى من الخطه .

غمغت (سلوى) :

- قتلنا جميعاً .

هز رأسه نغيًا ، وقال :

- كلاً .. إنهم يدركون أن مصرعنا قد يؤدى إلى ظهور فريق آخر ، قد يكون أكثر قوة وحنكة ، لذا فقد قرروا تجنيدنا لحسابهم .. أو بمعنى أدق ، تجنيدى أنا ، كبطل سابق للمقاومة ، مع تاريخى المعروف فى مقاومة الغزاة السابقين .. لقد قرروا أن أصمل لحسابهم ، وأقود الأرض كلها إلى الهلاك ، والكل يتصور أنني أمضى بهم إلى النصر .

سألته (سلوى) فى دهشة كبيرة :

- ولكنهم يعرفون كل شىء عنا يا (نور) ، ويعلمون جيداً أنه من المستحيل أن تخون وطنك وعالمك ، مهما كانت الأسباب ، ومهما كان الثمن .

أشار بسبابته ، قاتلاً :

- من سيقود العالم إلى هوة الهلاك لن يكون أنا - فعلياً يا (سلوى) .. بل سيكون ذلك البديل الآلى البيولوجى ، الذى أحضره من زمنه ، والذى علمنا كل ما فعله هناك ، فى قاعة الفحص الطبى ، فى أثناء قدومنا إلى هنا .

هتف (أكرم) :

- آه .. إذن فهذا هو الغرض من إحضار نسخة طبق الأصل منك يا (نور) .

أجابته (نور) :

- بالضبط .. فقبل أن يعود إلى عالمه ، كان سيوظف بى ، على نحو أو آخر ، ليحل ذلك الآلى البيولوجى محلّى .. ومن المؤكد أن أحداً لم يكن لينتبه إلى هذا ، وحتى لو ارتكب بدبلى أية أخطاء ، سيعزوها الجميع إلى الحالة التى أصابتنى ، من جراء ذلك العقار للمجهول .

قال (أكرم) فى عصبية :

- ولكن حالتنا العادية كانت ستؤكد أنك وحدك .. أعنى بدبك وحده هو الذى يرتكب الأخطاء .

هز (نور) رأسه ، قاتلاً :

- لو سارت خطته على ما نرام ، لما أصبح لكم وجود هنا .

اكتسعت عينا (سلوى) فى هلع ، فى حين هتف (أكرم) فى غضب :

- كان سيقتلنا إذن ؟! يا للوعد !

هتف العدو فى غضب :

- استنتاج عبرى أيها الأرضى .. إنك لم تختلف كثيرا عما ستصبح عليه فى المستقبل .. لقد أدركت الحقائق كلها بمهارة مذهشة .

ثم مال إلى الأمام ، مستطرذا قى وحشية :

- ولكن هذا لا يعنى أنك ستنتصر ..

قال (نور) فى هدوء عجيب :

- هل تعتقد هذا ؟!

لوح العدو بذراعيه فى الهواء ، هاتفا :

- قلت لكم : إن التاريخ كله فى قبضتنا .. الزمن

كله ملكنا ، و ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

- وماذا لو فقدتم هذا السلاح الخطير ؟!

انعدت حاجباه ، وهو يتساءل :

- ومن سيفعل هذا ؟!

هز (نور) كتفيه ، قائلا :

- عودتك إلى هنا ، وكل ما فعلته ، نبهنا إلى

ما ستواجهه الأرض فى المستقبل ، وجعلنا ندرك أن

آلة الزمن ، التى نسعى لاختراعها ، ستكون هى

السلاح الذى سيتسبب فى هزيمتنا ، فهل تعتقد أننا

سنواصل صنعها تحت هذه الظروف ؟!

اكتسعت عينا العدو ، وهو يتساءل فى توتر :

- ماذا تعنى ؟!

أجابته (نور) فى حزم :

- أعنى أن مركبة الزمن ، التى نسعى لإنتاجها ،

مجرد فكرة وريت من المستقبل ، بعد محاولة الغزو

على الأرجح ، ولقد كنا نمابق الزمن ، لإنتاجها فى

حاضرنا ، أما الآن ، فسنقوم بتدمير كل ما لدينا من

وثائق وتصميمات ومعلومات ، عن مركبة الزمن ،

وهذا يعنى أننا لن نلتج مثلها .. ليس خلال السنوات

القادمة على الأقل .. لذا فلن نعثروا على أى أثر لها ،

عندما تسعون لغزونا ، ولن يكون بإمكانكم السيطرة

عليها ، أو على التاريخ .

ثم صوّب مسدسه الليزرى إليه ، مستطرذا :

- وسيظلّ تاريخنا ملكاً لنا ، ولن يعث به أحد .

ران على القاعة صمت رهيب ، بعد أن انتهت
(نور) من عبارته ، ثم لم يلبث ذلك الفضائى أن
قطعه ، قائلاً :

- فكرة عبقرية ، ولكنها فاشلة تماماً .

هتف به (أكرم) :

- كيف أيها الوغد ؟!

أجابه ، وهو يضغط زرّاً فى حزامه :

- لأننى سأعود بأآلة الزمن هذه إلى عالمى .

وعلى الرغم من أن العلماء قد تأكّدوا مرتين ، من
أنهم قد عزلوا مصادر الطاقة الرئيسية عن المركبة ،
إلا أن آلاتها انطلقت تعمل على الفور ، مع ضغطة
الزر .

وفى مكتبه ، هتف القائد الأعلى :

- ربّاه ! كان هناك مصدر طاقة خفى .. أوقفه

يا (نور) .. أوقفه قبل أن يقطع بالمركبة ، عائداً إلى
عالمه .. أوقفه بأى ثمن .

أطلق (نور) أشعة مسدسه نحو ذلك العدو مرة ..
وثانية .. وثالثة ..

وفى كل مرة ، كان ذلك العدو يختفى بغتة ، قبل أن
تبلغه الأشعة ، ثم يعود إلى الظهور فى موقع آخر ،
وهو يقهقه ضاحكا ، ويقول :

- لن يمكنك إصابتى أبداً أيها العبقري .. إنها
خاصية نادرة ، كنت أنخرها للنهاية .. القفز عشوائياً ،
من نقطة زمنية إلى أخرى .. إنه تطوير قمنا به
نحن ، بحيث لا يمكن أن يصيبنا قناص ، مهما بلغت
براعته .

قالها ، وهو يستعد للصعود إلى مركبة الزمن ،
مستطرذا :

- لقد خسرتم أيها العباقره ، وسأعود إليكم مرة
أخرى ، و ...

قاطعه (أكرم) فى صرامة :

- مهلاً أيها الوغد .. إننى لم أطلق رصاصتى بعد .

التفت إليه العدو ، قائلاً فى سخرية :

- رصاصتك ؟! هل تتصوّر أن رصاصتك ستكون
أسرع من أشعة الليزر ؟! هراء ..

هزّ (أكرم) كنفه ، قللاً :

- ربما كان هذا صحيحاً ، بالنسبة لأية رصاصة عادية ، ولكن رصاصتى هذه تختلف .
قال العدو فى سخرية :
- فيم ؟

أجابه (أكرم) ، وهو يصوب مسدسه إليه :
- تختلف فى أنها قذيفة خاصة ، من تلك القذائف ،
التي فتحت عيون علمائنا على تطويرها .. قذيفة
معدّة بحيث تتعقب بصمة جينية بعينها .
قهقه العدو ساخرًا ، وهو يقول :

- صحيح أن تركيبى الجينى لا يختلف عنكم كثيرًا ،
ولكن من أين لك الحصول على بصمتى الجينية ؟
ابتسم (أكرم) فى تحدّ ، وهو يقول :
- عجباً ! هل نسيت دماغك ، التى تنشرت على
وجهى فى المستشفى ؟

استعت عينا العدو فى ارتياح ، واستعد فى ذاكرته
تلك اللحظة ، وأدركت عقليته المتطورة أن (أكرم)
على حق ..

لقد تنشرت دماؤه فى المستشفى ..

وسبحوى سائلها بصمته الجينية حتمًا ، و ...
« الوداع أيها الودع .. » .

نطقها (أكرم) ، ليقطع سبل أفكار خصمه ، وهو
يضغط زناد مسدسه بكل قوته ..
وصرخ الفضائلى ، وهو يضغط زرًا فى حزامه :
- لا .

ومع ضغطة الزر ، وثب جسده عبر فجوات زمنية
مختلفة ..
ولكن الرصاصة الموجهة تعقبته ..
وأصابته ..

وأمام عيون الجميع ، انفجرت الرصاصة فى
صدره ، واقتلعت من موضعه ، ليرتطم بجسم المركبة
الزمنية فى عنف ، ثم يرتد عنها فى قوة ، ليسقط
جثة هامدة ، عند قدمى (نور) ..

وعلى الرغم من بغضه الغريزى للقتل والتدمير ،
لم ينبس (نور) ببنت شفة ، وهو يخفض عينيه ،
ليلقى نظرة على جثة خصمه ..

بل ولم يشعر بأى حزن أو شفقة ..
وكذلك كل الآخرين ..

هذا لأنهم جميعاً كانوا يدركون ، دون أدنى شك أن
تلك الرصاصات ، كانت الوسيلة الوحيدة المتاحة ،
لإنقاذ مستقبل الأرض من غزو رهيب ..
غزو لا أحد يدري متى سيحمل إلى الأرض لهيبه ؟
لهيب الخطر ..
والرعب .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]



د. نبيل فاروق

ملف
المتقبل
مسلحة
روايات
بوليسية
الشباب
من الخيال
المطعم

126

الشمع في مصر ٢٠٠٠
ومبيعاته بالدولار الاسويكي
في سائر الدول العربية والعالم

مطابع
الطبعة

لهيب الرعب

- ما سر ذلك المشغف الذي يسعى للقضاء على (نورا) وفريقه؟
- كيف يمكن أن تواجه (نشور) وحدها جحش وهو ذلك الجاسوس المجهول؟
- ترى هل تواجه الأرض محاولته ضرو الضائخ آخر أم انه هبات سريكمين؟
- من الهيب الرعب؟
- اقرأ التفاصيل المشيرة وقابل مع (نورا) وفريقه .. من أجل الأرض ..



العدد القادم الخيال النجوم